الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

ثنائية الموت والحياة في لزوميات أبي العلاء المعري

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة: دنيا نابتي

د. علي محدادي.....مشرفا

د. حمزة قريرة..... رئيسا

د. نجلاء نجاحي.....مناقشا

السنة الجامعية: 2018-2019م/1440هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

وأبتدأ كلامي بقوله صلى الله عليه وسلم:« من لا يشكر اليسير، لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس، لا يشكر الله»

فالشكر أولا لله عز وجل الذي هداني لسلوك .درب العلمـــــاء وإن كان بيني وبينهم أشواطا من المعرفة والنجاحات.

كما أخص بالشكر أستاذي الكريم ومعلمي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور علي محدادي، فقد كان حريصا على قراءة كل ما أكتب موجها إياي إلى ما يرى بأرق عبارة وألطف إشارة، فله مني وافر الثناء وخالص الدعاء.

كما أشكر أساتذتي الأفاضل وأستاذاتي الفاضلات وكل الزملاء ومن قدم لي فائدة أو أعانني بمرجع، أسأل الله أن يجزيهم عني خيرا وأن يجعل عملهم في ميزان حسناتهم.

إهداء

إلى من علمني النجاح و الصبر... إلى من علمني العطاء بدون انتظار... أبي.

إلى من علمتني و عانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه... إلى من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي... أمي.

إلى جميع أفراد أسرتي العزيزة و الكبيرة كل باسمه أينما وجدوا.

إلى أصدقائي رفقاء دربي من داخل الجامعة و خارجها.

إلى أستاذي الفاضل المشرف الدكتور علي محدادي، إلى أساتذتي الكرام الذين أناروا دروبنا بالعلم و المعرفة.

إلى كل من يقتنع بفكرة فيدعو إليها و يعمل على تحقيقها، لا يبغي بها إلا وجه الله و منفعة الناس.

إليكم أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

المقدمة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد بحر أنواره ومعدن أسراره ولسان حجته وعروس مملكته وإمام حضرته وطراز ملكه وخزائن رحمته وطريق شريعته المتلذذ بتوحيده إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين أعيان خلقه المتقدم من نور ضيائه صلاة تدوم بدوامه وتبقى ببقائه لا منتهى لها دون علمه وآله وصحبه الكرام وبعد..

منذ خلق الله هذا الكون، وهو محكوم بالعديد من الثنائيات الضدية، منها ثنائية الخير والشر، الحرب والسلم، الليل والنهار، الحب والكراهية، ولكن الإنسان استطاع الغوص في أعماقها وسبر أغوارها، ولكن ثنائية الحياة والموت تبقى من الثنائيات التي لم يستطع العقل البشري إيجاد حلول نهائية لها للآن وفك لغزها.

وقد استمرت هذه المعضلة لتصبح إشكالية فلسفية تؤرق فكر الإنسان، كون عالم الأموات عالم مجهول.

عدم وجود رابط بين عالم الأموات والأحياء، يمكن أن يعلم به الأحياء أخبار الموتى وخبايا عالمهم وأسراره.

وبالنسبة لنا كمسلمين فإن ديننا الحنيف بمصدريه، القرآن الكريم والأحاديث النبوية أجاب عن العديد من التساؤلات حول هذا الموضوع، ولكننا نبقى جاهلين للعديد من خبايا هذه الثنائية.

ولأن ثنائية الموت والحياة من أهم القضايا الكونية وأكثرها تعقيدا، لكثرة التشابهات الفلسفية والموضوعية فإن الأديب العربي حاول من خلال أعماله الأدبية شعرية كانت أو نثرية إبراز هذه الظاهرة وتجلياتها في الأدب.

ولهذا اعتمدنا موضوع هذه الدراسة **وهو " ثنائية الموت والحياة في لزوميات أبي العلاء المعري**" وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في تجليات هذه الثنائية في شعر أبي العلاء المعري بعد أن شغلت قضية الموت والحياة في الشعر العربي القديم الكثير من الدارسين والباحثين، ونجد أن الفيلسوف والشاعر أبي العلاء المعري كان له نصيب من هذه القضية إذ برزت في شعره الصور سواء الموت أو الحياة.

وقد تحدثت الدراسة عن أبرز أنماط الموت وصوره في خطاب أبي العلاء فرؤيته للموت رؤية عميقة، ونظرة بعيدة تشكل الأشياء حسب انعكاساتها في عقله وقلبه فيصير الموت بالنسبة له معايشة للحياة فمن الموت تولد الحياة.

وبما أن لكل سبب مسبب ولكل مطلب غاية فإن الدافع أدى إلى اختيار هذا الموضوع نجمله فيما يلي:

- أهمية هذا الموضوع النابعة من علاقاته الوثيقة بالعقيدة الإسلامية التي تملأ حياتنا، وهي حقيقة الموت والاستعداد له في هذه الحياة.
- رغبتي لإبراز مدى إبداع الشاعر في هذا المجال وفلسفته الشعرية.
- غموض ثنائية الحياة والموت ومحاولة البحث في كنهها.

وللخوض في ثنائية الحياة والموت من خلال لزوميات المعري ومعرفة خباياها سنحاول في بحثنا الإجابة على الإشكالية التالية وهي:

كيف تجسدت ثنائية الموت والحياة في لزوميات أبي العلاء المعري؟

والتي بدورها تفرع عنها إشكالات فرعية والمتمثلة في:

– ما مفهوم الحياة والموت وما علاقتهما بالمعري؟

–أسباب نزوع المعري نحو ذم الحياة وطلب الموت من خلال اللزوميات؟

–كيف تمظهرت ثنائية الحياة والموت في اللزوميات؟

ومن خلال اطلاعنا على الموضوع وجدنا بعض الدراسات السابقة التي تناولت ثنائية الموت والحياة مع اختلاف العصر الأدبي المدروس ومنها:

– محمد عبد الله عنان: وفاة أبي العلاء ورأيه في الموت وما بعده، مجلة الهلال، ج8، مج46، القاهرة – مصر، 1938م.

– حسين أحمد عبد الحميد عبد السلام، الموت في الشعر الجاهلي، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة – مصر، 1991م.

–محمد متولي الشعراوي: الموت والحياة، مكتبة الشعراوي الإسلامية، د. ط، مصر، د.س

– مصطفى عبد اللطيف جياووك: الحياة والموت في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، د ط، 1977م.

– حمدية كاظم رضوان: جدلية الموت والحياة في فنون الحضارات القديمة، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ط1، العدد 18، 2016م.

– سناء سلمان عبد الجبار: ثنائية الحياة والموت عتد نازك الملائكة، كلية الآداب، جامعة الكويت، العدد05، المجلد14، 2007م.

حيث يتلخص ما فيها فيما يلي:

– إن ثنائية الحياة والموت من أهم الثنائيات الضدية التي شغلت فكر الإنسان وخاصة المبدع منه، الذي حاول تجسيدها من خلال تشكيل فني إبداعي راسما رؤياه وتصوراته.

بما أن لكل دراسة منهج تسير وفقه، فقد اعتمدت الدراسة الموضوعية بما يتناسب وطبيعة البحث. وعلى الرغم من تبني هذا المنهج للدراسة فهذا لا يقف حاجزا يمنعنا الاستفادة من مناهج أخرى وأدوات إجرائية تخدم البحث كالتحليل الذي سنعتمده في عملنا.

أما عن أقسام بحثي فقد اعتمدت ثلاثة فصول يسبقها مدخل كما ضم الفصل الأول خمسة مباحث ضمت الجانب المصطلحي لثنائية الموت والحياة، والجانب الفلسفي والفكري للثنائية وعنونت كالتالي: مفهوم الحياة في اللغة والاصطلاح، مفهوم الموت في اللغة والاصطلاح، الموت والحياة في الحضارات القديمة، الموت والحياة في الفكر العربي، الموت والحياة في الفكر الغربي.

أما الفصل الثاني ضم ثلاثة مباحث تناولت جانبا من المدونة بالدراسة وهو موضوع الحياة في لزوميات المعري وعنونت المباحث كالتالي: احتقار الإنسان واعتزال المجتمع، قيمة الحياة، مقاطعة الحياة بعدم الانجاب.

أما الفصل الثالث ضم الجانب الثاني من المدونة بالدراسة وهو موضوع الموت في لزوميات المعري وعنونت المباحث كالتالي: الموت راحة، الموت والبعث وأخيرا مقدمة.

وفي الخاتمة تم رصد أهم النتائج التي تناولها البحث وتعمق فيها.

أما المصادر التي اعتمدتها في بحثي وهي بكل تأكيد: لزوميات أبي العلاء المعري بجزئيها الأول والثاني باعتبارها أساسا للدراسة، كما اعتمدنا جملة من المعاجم التي ساهمت في تحديد المصطلحات الخاصة بالبحث. أما المراجع التي أفادتني في تجاوز إشكالات البحث فقد استعنا بالتالية أسماؤها:

- عمر فروخ: أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم.
- عبد السلام هارون وآخرون: تعريفات القدماء بأبي العلاء المعري
- كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري
- طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه.

وأخيرا وجب علي ذكر العراقيل التي واجهتني في عملية البحث وهي والحمد لله قليلة تتلخص في صعوبة الحصول على بعض المراجع التي تخدم البحث وتتشكل منها المادة العلمية.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور "علي محدادي"

الذي لم يدخر جهدا في مساعدتي وتزويدي بمختلف التوجيهات القيمة التي خدمت بحثي المتواضع، كما لا يفوتني أن أشكر النخبة الطيبة في قسم اللغة والأدب العربي لدعمهم الكبير وتواضعهم الأكبر لكل طالب علم يطرق أبواب الجامعة.

وختاما فإني أضع هذه الدراسة بين يدي النخبة من الأساتذة الخبراء، أعضاء لجنة المناقشة ولهم جزيل الشكر جراء عناء قراءتها وتصويب خطئها، كما لا ألتمس العذر لنفسي إذا ما

شابها نقص أو خلل، فحسبي أني اجتهدت لأنجزها وكلي أمل أن تخدم الأدب عامة والشعر خاصة وأسأل الله التوفيق لي ولكم.

دنيا نابتي

ورقلة في: 13/شوال/1440هـ

الموافق لـ 16/جوان/2019م

مدخل

تعتبر الثنائية الضدية من بين القضايا الشائكة التي شغلت الفكر الإنساني منذ عصور. فهناك قطبان متضادان في الكون يكمل أحدهما الآخر والصراع الأبدي بين هذين القطبين هو مصدر للاستمرارية والخلق:" **تعد فرضية الثنائية (Binary Assumption) من الموضوعات التي أثارت دهشة الإنسان في مسيرة الفكر البشري؛ فثمة طرفا ثنائية متضادان في الكون، مثل: زيادة/ نقصان، ذكر/ أنثى، سلب/ إيجاب...ويرى بعضهم أن هذه الأضداد يبحث الطرف منها عن طرفه الآخر؛ ليتحدا معا مكوّنين الأصلية، ويرى آخرون أن هذه الأضداد تقوم على صراع أبدي بعضها مع بعض ويرون أن هذا الصراع مصدر الخلق، والتوليد؛ لاستمرار الحياة"**[1].

واستمرار الحياة على الأرض نابع من تأثير هذا الصراع فالتضاد والتوازي وكل طرف من أطراف هذه الثنائية المتضادة يبني ويكون وجود الآخر وفق منظومة فكرية فلسفية: **"للثنائية- إذن – تأثير قوي في الصراع واستمرار الحياة على الأرض وتظهر الثنائية منظومة فكرية فلسفية حياتية متكاملة، ويبني على أساس الإيقاع الثنائي العالم، وبنيته؛ لأنه مرتبط بالثنائية حيث التضاد، والتوازي وكل طرف من طرفي الثنائية يسوغ وجود الآخر"**[2].

ومن بين الثنائيات الضدية التي شكلت معالم هذا الكون ورسخت ماهيته وهي ثنائية الموت والحياة التي هي أساس الخلق والاستمرار في الكون والتطرق لهذه الجدلية ليس من

[1] سمر الديوب: الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، دمشق، 2017م، ص10.
[2] نفسه، ص10.

أجل البحث في ماهية الموت والحياة الإكلينيكية وإنما البحث عن الأبعاد الفلسفية والفكرية لماهية هذه الثنائية في لزوميات المعري وكيف أثرت إبداعيا في كتاباته.

"واللزوميات في الحقيقة. دائرة معارف موجزة في النحو والأدب والتاريخ وأيام العرب وأخبار الأقدمين وفي القرآن والحديث والفقه وسائر علوم العربية، وفي كثير من علم الطبيعة والفلسفة. ولا ريب في أن المعري أحاط بكل ذلك وفهمه على الوجه الذي كان شائعا يومذاك".[1]

فالمعري استخدم الثنائيات الضدية في جل أعماله، دون استثناء مما جعل منها منبعا للتفرد.

[1] عمر فروخ: أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، منشورات دار الشرق الجديد، ط1، بيروت – لبنان، 1960م، ص39.

الفصل الأول: الحياة والموت الماهية والحدود.

1- مفهوم الحياة

2-مفهوم الموت

3-الموت والحياة في الحضارات القديمة.

4- الموت والحياة في الفكر العربي.

5-الموت والحياة في الفكر الغربي.

1-1 مفهوم الحياة:

تم ذكر الحياة في العديد من المعاجم اللغوية ونذكر منها ما يلي: "**حَيَّا :الحَيَاةْ :نَقِيضُ الْمَوْت، وَالْحِي مِنْ كُلِّ شَيءٍ : نَقِيضُ الْمَيْتِ، وَالْجَمْعُ أَحَيَاء ، والحَيُّ: كُلَّ مُتَكَلِّمٍ نَاطِقٍ، وَالْحَيُّ مِنَ النَّبَات: مَا كَانَ طَرِيًّا يَهْتَزُّ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَات» وَأَحْيَاهُ : جُعَلُهُ حَيًّا، وَفِي التَّنْزِيلِ: «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحَيِّي الْمَوْتَى» .**

وَاِسْتَحْيَاهُ :أَبْقَاهُ حَيًّا، قَالَ اللَّحَيَانِي: اِسْتَبْقَاهُ وَلَمْ يَقُمْ بِقَتْلِهِ، وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَيَسْتَحْيُونَ نِّسَائَكُمْ»[1].

ونجد أيضا:" **حَيَّ، يَحْيُ: حَيَاةً، كَانَتْ بِهِ رَوْحٌ، ضِدَّ مَاتَ، حَيَّ :اِسْمٌ فَعَلَّ لِلْأَمْرِ بِمَعْنَى (أَقْبَلَ وَعَجَّلَ)، وَالْحَيُّ جَمْعُ أَحْيَاءٍ، مَا كَانَ قَيْدَ الْحَيَاةِ، الْمَحَلَّةُ التِي يُسَكِّنُهَا الْقَوْم، الْجَمَاعَةُ مِنَ الْقَبِيلَةِ، أُرْضٌ حَيَّةٌ :خِصْبَةٌ، مَرْحَلَةٌ بَيْنَ الْوِلَادَةِ والْمَوْت"[2].**

أما من الناحية الاصطلاحية فقد عرفت الحياة على أنها: " **ثبات الشيء على الحالة الأولى، يضاده الفناء بنوعه والباقي، ضربان: باق بنفسه لا إلى مدة، وهو الباري تقدس ولا يجوز عليه القناء ، وباق بغيره إلى مدة وهو ما عداه الذي يصح عليه القناء ، والباقي بالتي ضربان: باق بشخصه إلى أن يشاء الله أن يفنيه كبقاء الأجرام السماوية وباق بنوعه وجنسه دون شخصه وجرمه كالإنسان والحيوان وكذا في الاحد باق بشخصه لأهل الجنة، فإنهم يتقون**

[1] ابن منظور، لسان العرب، (باب الحاء)، دار المعارف، 1119كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، د.ت، ص1074 – 1073.

[2] جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، ط7، بيروت – لبنان، 1992م، ص312.

مؤيدا لا إلى مدة، وباق بنوعه وجنسه".[1]

ومما سبق نجد أن الحياة هي الاستمرارية والحرية والتفاعل كما أن المصطلح قد عرف في الدراسات اللغوية العربية على أنه البقاء والحياة استمرار وصلاح لمختلف الكائنات التي خلقها الله سبحانه وتعالى بمختلف أشكالها وأنواعها.

1-2 مفهوم الموت:

عرف الموت في المعاجم العربية بأنه:" **المَوتُ: ج. أَمْوَاتٌ وَمَوْتَى، ضِدَّ الْحَيَاةِ :وَيُطْلَقُ الْمَوْتُ وَيُرِدْ بِهِ مَا يُقَابِلُ الْعَقْلَ وَالْإِيمَانَ نَحوَ مَا فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيز: أَوَمنْ كَانَ مَيْتَا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجعَلْنَا لَهُ نورًا يَمْشي به في الناسِ.**

مَاتَ: الْحَيُّ، مَوْتًا: فَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ، وَالشَّيْء هَمَدَ وَسَكَنُ، يقال مَاتَ الرّيحُ: سَكَن، وَالنَّار: بَرَدَتْ.

(الْمَوَاتُ): مالا حياة فيه، والأرض التي لم تزرع ولم تعمر ولا جدي عليها ملك أحد"[2].

وجاء أيضا في مفهوم الموت:" المَوتُ. 1- مص: مَاتَ يَمُوتُ، 2- زَوَالُ الحيَّاةِ عَنْ الكَائِنِ الحَي، 3- «المَوتُ الأَحْمَر»: المَوتُ قَتْلاً، 4- «المَوتُ الأَبْيَض»: أو المَوتُ الطَبِيعِي، أو المَوتُ فَجْأَةً.5- «المَوْتُ الأَسْوَدْ»: المَوْتُ خَنْقًا"[3].

وتلخيصا لما جاء في المعاجم اللغوية فإن الموت يعني الزوال والفناء والعدم وانتهاء حياة كل شيء.

---

[1] سعدية أحمد مصطفى: البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، د.ط، عمان – الأردن، 2010م، ص19.

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (مادة مات)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة – مصر، 1425هـ/2004م، ص 890.

[3] جبران مسعود: الرائد معجم لغوي عصري، ص 780.

وقد اختلفت التعاريف الاصطلاحية للموت ونذكر منها:" **فناء الانسان في الدنيا، وتلاشي الموجود، قال ابن سيناء 428هـ: «فيكون حدوثها (مادة الأفلاك) على سبيل الفناء، لا علىض سبيل الفساد إلى شيء آخر»**".[1]

قال تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20)﴾[2]، ومن خلال الآية الكريمة نلاحظ أن الشيطان ربط أكل آدم عليه السلام من الشجر بالخلود أي أن الامتناع عن الأكل يودي إلى حتمية الموت.

ويعرف الموت أيضا بأنه:" **توقف معالم الحياة في الجسم الطبيعي، من حركة ونمو وحس وتنفس وقدرة على التكاثر والتغذية، وهو نهاية مرحلة تنتهي عندها ثنائية الوجود الإنساني (الجسد والروح) ليعود كل عنصر إلى عالمه الأزلي**"[3].

من خلال هذا التعريف نجد أن الموت عبارة عن انتهاء دور الكائنات في الحياة فجميع مخلوقات الله مصيرها الموت والتلاشي ولاندثار.

---

[1] سعدية أحمد مصطفى: البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، ص20.

[2] الأعراف: 19-20.

[3] سناء سلمان عبد الجبار: ثنائية الحياة والموت عتد نازك الملائكة، كلية الآداب، جامعة الكويت، العدد05، المجلد14، 2007م، ص173.

1-3 الموت والحياة في الحضارات القديمة:

منذ أن خلق الإنسان على سطح الأرض وبدأت ملكة التأمل والإدراك تقوم بدورها في عقله واجه الإنسان العديد من التساؤلات حول مصيره في هذا الكون، وقد أدى ذلك إلى نسج العديد من القصص والخرافات حول حقيقة الموت، حيث اعتبروا هذه الأساطير إجابات عن حقيقة هذا العالم الغامض بمختلف حضاراته حيث "**مثّل الموت بالنسبة للإنسان في الحضارات القديمة عالما غامضا مجهولا وغريبا ظل مثيرا لتساؤلات كثيرة منذ أن امتلك الإنسان القدرة على التأمل والإدراك الواعي لما يحيط به وأصبح إدراك الموت كحقيقة هو القاسم المشترك للفكر الإنساني بين الحضارات القديمة والمجتمعات الإنسانية المتحضرة**"[1]، وقد اختلف الفهم العام لظاهرة الموت باختلاف الحضارات، ومن بين هذه الحضارات نجد:

أ. الحضارة المصرية:

تعتبر الحضارة المصرية من أعرق الحضارات التي عرفها التاريخ وخير دليل على ذلك البرديات والآثار التي جسدت تلك الحضارة من أهرامات، وبرديات، وكنوز مدفونة داخر المقابر وهذه الأخيرة ارتبطت ارتباطا كبيرا بفكرة الموت والبعث، خاصة وأن المصريين كانوا يدفنوا أسلحتهم ومقتنياتهم الشخصية التي يمكن أن يحتاجها الميت خلال بعثه من جديد" **فالأواني- والحلي البدائية التي كانت توجد مع الموتى في مقابرهم ووجودها المكثف هي كلها تقدم دليلا واضحا على الاعتقاد بضرورتها للموتى، وذلك يدل أن اعتقادا باستمرار الحياة بعد**

[1] حمدية كاظم رضوان: جدلية الموت والحياة في فنون الحضارات القديمة، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ط1، العدد 18، 2016م، ص455.

الموت قد هيمن على هذه الثقافات"[1].

كما نلاحظ أن المصريين قديما اهتموا اهتماما كبيرا بقضية الخلود رغم أن لغتهم قاصرة لتحتوي المصطلح، ومصطلح الحياة لديهم لا يقتصر على الحياة الدنيا أو الفانية فقط فحتى حياة ما بعد الموت أو البعث يطلقون عليها مصطلح حياة " **ويمكننا القول بأن المصريين في العصور التاريخية آمنوا دائما بالخلود، رغم أنه لا توجد كلمة تعبر عن معنى الخلود في لغتهم، فكلمة الحياة نفسها تستخدم لكل من الحياة على الأرض والحياة بعد الموت، ولكن الخلود ليس مطلقا فإن متطلبات معينة يجب أن تتحقق للحصول عليه، ومن المستحيل أن نتعرف على مدى العمق الزمني لعقائد الحياة بعد الموت "[2].**

وعليه فإن الحضارة المصرية آمنت من خلال معتقداتها أن الموت ليس نهاية العالم وإنما هي بداية لحياة أخرى تشبه الحياة على الأرض.

ب.<u>الحضارة الهندوسية:</u>

تعتبر الحضارة الهندية من الحضارات المليئة بالأسرار والأساطير المختلفة، وتتنوع فيها اللغات والأديان وباختلاف الديانات تختلف المعتقدات حول حياة الإنسان ونهايتها.

ومن بين الديانات التي عرفها المجتمع الهندي واشتهرت لديه «الهندوسية» فهي من منظور الهنود أكبر من أن تسمى دينا فقط؛ ولكنها تشكل الكيان العام للمجتمع الهندي بكل ما فيه **"لمن الصعب أن يطلق على الهندوسية دينا بالمعنى الشائع، فالهندوسية أشمل وأعمق من**

[1] ياروسلاف تشرني: الديانات المصرية القديمة، ت. أحمد قدري، دار الشروق، ط1، القاهرة – مصر، 1996م، ص03.

[2] نفسه، ص106

الدين، إنها صفة لملامح المجتمع الهندي، بنظامه الطبقي ومكان كل طبقة فيه"[1].

فالحياة لديهم نور يومض فجأة، ثم يتلاشى ويختفي لشدة قصرها وهذا دليل على الفناء؛ لأن الموت سيقضي على كل شيء كان يعتبر ذا قيمة في يوم من الأيام وهنا يطرح سؤال عن قيمة ما يملكه الإنسان في الدنيا إذا كان مصيره الهلاك "**ما هي قيمة الجسد والأفراح والثروة والجاه والملك إن كان محتما علينا أن نموت عاجلا أو آجلا، وأنّ الموت سيقضي على كل شيء"[2].**

وأيضا نجد في كتاب «**يوجاواسستها**» لـ «**سوامي رام تيرتها**» وهو أحد أشهر الكتب الدينية حول اللاهوت وكينونة الإنسان في الديانة الهندوسية، العديد من التساؤلات التي تجبرنا على الوقوف مليا أمام معنى الحياة وصراعها الدائم مع الموت الذي ينتصر دائما في الأخير "**فيا ترى ما الفائدة من الحياة التي لا مناص فيها من الشيخوخة والموت؟ لا مفر للإنسان من الشيخوخة، إنها تصرع حتى الأبطال الذين لا يعرفون الهزيمة قط في ساحة الميدان، وتلحق حتى الذين يختفون خوفا منها في الكهوف وما قيمة الجسد، والأفراح، والثروة والجاه، والملك إن كان محتما علينا أن نموت عاجلا أو آجلا وأن يقضي الموت على كل شيء"[3]**

وعليه فإن الثقافة الهندوسية الدينية تؤمن إيمانا كبيرا بالفناء وأن الحياة ما هي إلا محطة قصيرة يقف عندها الإنسان خلال عبوره إلى دار الفناء أو الموت.

---

[1] أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، ط11، 2000م، ص33.

[2] نفسه، ص70.

[3] نفسه، ص89.

ج. حضارة بلاد الرافدين:

إن حضارة بلاد الرافدين لا تختلف عن باقي الحضارات في تكوينها فهي تعتمد الخرافات والأساطير أيضا في بنائها، فالغموض اعترى قضية الموت والحياة لديهم فهم يعتبرون أن الأرض السفلى هي أرض الفاء التي يقصدونها بعد موتهم "**وهناك قدر من الغموض في نظرة بلاد النهرين إلى الموت والحياة الأخرى، فالجحيم المظلم «أرالو»، «Arallu» أو الأرض الهائلة أو دار «دار الأشباح» توجد تحت الأرض. وتبلغ أرواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب نهر حبرة Habour**"[1].

ومن أشهر الملامح التي عرفتها بلاد الرافدين **«كالكامش»** فقد عرفت الملحمة ببعدها الفكري فنجد أن **«كالكامش»** بعد وفات صديقه **«أنكدوا»**، حاول البحث عن سر الخلود خوفا من المأساة التي وقعت لصديقه لكنه فشل "**لأن الحكم الإلهي حكم على أنكدوا صديق كالكامش بالموت، وعندما مات الصديق حزن كالكامش، وشعر بمأساة البشر الحقيقية ألا وهي الموت، فترك عرشه وذهب للبحث عن سر الخلود، ولكنه فشل في النهاية**"[2]

كما أن حضارة بلاد الرافدين لا تختلف كثيرا عن الحضارة المصرية في فهم هذه الثنائية، فهم يحتفظون بالمؤن مع موتاهم لكي يستفيدوا منها في الحياة الأخرى "**وربما كانت هذه الممارسات من أصول غير سامية مستمدة من خارج بلاد ما بين النهرين، ومشابهة لتلك الطقوس المعروفة في مصر. وإن كانت تشير على كل حال إلى حاجة الإنسان للتزود بالمؤن**

[1] جيفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1990م، ص21.

[2] نفسه، ص22.

من أجل الحياة في العالم الآخر"[1] .

ومما سبق نلاحظ أن بلاد الرافدين تأثرت بالحضارات الأخرى حول فهم العديد من الظواهر الطبيعية والميتافيزيقية كثنائية الموت والحياة.

1-4 الموت والحياة في الفكر العربي:

عرف الإنسان في العصر الجاهلي الموت وكتب فيها العديد من الأشعار تحت مسمى المراثي التي يعبر فيها عن أشواقه ولوعته بفقد أحبته ورسم صورة للنهاية التي سيؤول إليها كل شخص، فنجد زهير بن أبي سلمى يعبر عن ذلك في قوله:

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تخطئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[2]

كما نجد النابغة الذبياني يعبر عن الموت بقوله:

المَرءُ يَرغَبُ في الحَيا ة وَطولُ عَيشٍ قَد يَضُرُّهُ

تَفْنى بَشَاشَتُهُ وَيَبقى بَعدَ حُلوِ العيشِ مُرُّه

تَسُوؤُهُ الأَيّامُ حَتّى ما يَرى شَيئاً يَسُرُّهُ[3]

نلاحظ من قوله أنَّ طلب الحياة والرغبة في الخلود لن يجلب لصاحبه غير الضرر والغم.

---

[1] نفسه، ص 22.

[2] مصطفى عبد اللطيف جياووك: الحياة والموت في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، د ط، 1977م، ص239.

[3] نفسه، ص240.

أما أبو زيد الطائي فيبدأ مرثية أخيه بقوله:

إِنَّ طُولَ الْحَيَاةِ غَيْرَ سَعودٍ وَظِلَالَ تأميل عَيْشَ الْخُلُودِ[1]

حيث يرى أن موت أخيه في مرحلة الصبا خير له من الهرم والخوض في معارك الحياة.

امتلأ الشعر الجاهلي بالمواعظ ذات النظرة التشاؤمية التي عرفها الإنسان الجاهلي حول قضية الموت، وتعلق الإنسان بالحياة الدنيا رغم إدراكه لفنائه ومغادرته إياها حيث يطلب طول العمر والخلود مع كل ما سيتجرعه من غم وهم: "**وقد جاءنا في شعر الجاهلية مواعظ إنسانية عامة.. وهي تستند إلى تلك النظرة المتشائمة إلى حياة الإنسان في ظل الفناء الذي يتهددها من كل مكان.. هذا الإنسان يدرك ما يؤدي إليه طول العمر وهو مع ذلك يحب أن يعيش**"[2]

كما تعددت الدراسات الإسلامية التي تناولت قضية انتقال الإنسان من دار الفناء إلى دار البقاء، ويعتبر القران الكريم أول من نطرق إلى هذا الموضوع، حيث نجد جل سوره الكريمة تتحدث عن الحياة والموت ومثالا على ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور**﴾[3]، من خلال الآية الكريمة نلاحظ أن الموت ولحياة عيار عن امتحان يثبت من خلاله الإنسان مدى توحيده لله عز وجل.

أما في قوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾[4]، نجد أن مفهوم الحياة والموت قد ارتبط بالثواب فمن طلب ثواب الدنيا يجازيه الله في دنياه ومن أراد الآخر أكرمه الله فيها.

---

[1] نفسه، ص 241.

[2] نفسه، ص 246.

[3] سورة الملك: 2.

[4] سورة آل عمران: 145.

أما في قوله: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1] فيرتبط الموت فيه بالعقاب.

وقد اختلف ذكر الموت والحياة ويتنوع بتنوع الحالة التي استدعت ذكرهما في خطاب الله عز وجل فالموت والحياة مخلوقان من مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

ونجد من المفكرين العرب الذين تناولوا الموت والحياة بالدراسة نذكر «**الإمام الغزالي**» حين قال: "**اعلم: أنّ الناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطؤوا فيها.**

فظنّ بعضهم: أن الموت هو العدم، وأنه لا حشر له ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات. وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظنّ قوم: أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بالعقاب ولا يتنعم بالثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: إنّ الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد، وإنّ الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا."[2]

فالرأي الأول قول الملاحدة بأن الإنسان ينعدم كانعدام الحيوان والنبات، وأن عمله ينتهي بمجرد توقف أعضائه عن العمل، وهذا رأي ينفي القدرة الإلهية ومعجزة الخلق.

أما الرأي الثاني فهو يقول بحتمية الموت، وانقطاع الإنسان عن هذه الدنيا، ولكنه ينفي مسألة العقاب والجزاء في القبر إلى أن يحشر يوم القيامة.

---

[1] سورة الجمعة: 8.

[2] أبي حامد محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار بن حزم، ط1، بيروت– لبنان، 2005م، ص1876.

أما القول الأخير فهو القائل بحقيقة بقاء الأرواح دون الأجساد، إما منعمة وإما معذبة والقائلون بهذا الرأي ينفون وجود البعث والحشر تماما.

ولكن حقيقة أن هذه الآراء ضد ما جاء به ديننا الحنيف وما دعا له ف "**كل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق. بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط، وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها**"[1]

أما «العقاد» فيرى أن جميع الديانات أجمعت على " **الاتفاق في الايمان بالحياة بعد الموت، وإن اختلفت في تمثيل الحياة**

وقد آمن الفلاسفة بالحياة الأخرى قبل الأديان الكتابية جميعا وبعدها، فمن أشهر المؤمنين بها من الفلاسفة أفلاطون... وعمانويل كانت"[2].

فمختلف الديانات تؤمن بوجود حياة أخرى بعد الفناء، كما أن الفلاسفة الغربيين يؤمنون بما بعد الموت، وقاموا بالعديد من الدراسات حول هذه الحقيقة.

1-5 <u>الحياة والموت في الفكر الغربي:</u>

لقد تناول العديد من الفلاسفة الكبار مفهوم الحياة والموت بمختلف الطرق والوسائل، ومن خلال ما سنقدمه سنبرز أهم الفلاسفة الغربيين الذين خاضوا غمار هذه الإشكالية ودرسوها دراسة معمقة " **دراسة الموت في الفكر الفلسفي عموما دراسة نادرة (رغم النصوص الكثيرة)**"[3]

---

[1] المرجع السابق، ص1877

[2] عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية، دار النهضة للطبع والنشر، ط2، القاهرة– مصر، 2006م، ص149.

[3] جاك شروون: الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، د ط،1984م، ص12.

فمفهوم الموت والحياة من المنظور الفلسفي صعبة ونادرة رغم المحاولات العديدة ولمؤلفات الكثير التي تطرقت إلى هذا الموضوع.

من بين الفلاسفة الذين تطرقوا للقضية نجد الفلاسفة الإغريق فقد حاولوا حصر مفهوم البقاء والفناء حيث كتب **«كونفورد»** يقول: "**إن الوعي الكاسح بالفناء يشيع العتمة في التيار الرئيسي للفكر الإغريقي بأسره**"[1]، فنجد أن هذه القضية من وجهة نظر سقراط تنحصر في كون الموت حالة حتمية مقررة منذ الولادة فالإنسان قد حكم عليه الموت مسبقا حيث يقول: "**ألم تعلموا جميعا أن الطبيعة حكمت علي بالموت منذ لحظة ميلادي؟**"[2]، كما أن سقراط يرى أن الموت أفضل من الحياة فالموت وارتكاب الخطأ حتميتان لا مفر منهما حيث يقول:" **لكني أشير أيها السادة إلى أن الصعوبة ليست جمة في الهروب من الموت، لكن الصعوبة الحقيقية هي في تجنب ارتكاب الخطأ**"[3]. كما يذهب إلى أن "**لا شيء يمكن أن يمسنا إذا لم تعد على قيد الحياة. لأننا عندئذ لا نحس الأشياء ولا ندركها ولا نعيها**"[4]. أما أفلاطون فيرى أن الموت هو انفصال الروح عن الجسد وعودة كل من هما إلى طبيعته الأولى وهذا ما حاول إثباته **«جوجيت»** المترجم المشهور لمحاورات أفلاطون حيث يقول في مقدمته: "**ما هي الفكرة التي نكونها عن النفس حينما تنفصل عن الجسد؟ أو كيف يمكن أن تتحد النفس مع الجسد وتعد مستقلة رغم ذلك؟ وهل ترتبط النفس بالجسد كما يرتبط المثل الأعلى بالواقع، أو الكل**

---

[1] نفسه، ص34.

[2] نفسه، ص51.

[3] نفسه، ص48.

[4] فطوم زروق: الموت في المعلقات السبع دراسة فنية، تخصص أدب عربي قديم، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر ـ بسكرة، 2014/2015م، ص27.

بالأجزاء، أو الذات بالموضوع أو السبب بالنتيجة"[1]. فالإشكالية هنا تتعلق بارتباط الثنائيات فالموت والحياة ثنائية تتواجد بتواجد الأخرى.

أما «فرويد» فيرى أن "**ميل النزوات للعودة إلى حالتها الأصلية الموت يكرس أولوية نزوة الموت وانتصارها"**[2]. يعتبر أن الموت هو نقطة التي تعود إليها جميع النزوات التي تمر بها النفس.

ويقول «**فرانكل»: "عش كما لو كنت تعيش للمرة الثانية وكنت قد أسأت التصرف في المرة الأولى، وتوشك أن تقع في نفس الخطأ"**[3]، فالحياة من وجهة نظر فرانكل تربط بالحذر ومحاولة الابتعاد عن الخطأ والخوف من الوقوع فيه، وتجنب كل ما يؤدي إلى الشك في حدوث الخطأ أي كان شكله.

[1] المرجع السابق، ص55.

[2] فيصل عباس: التحليل النفسي وقضايا الإنسان، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت – لبنان،1991م، ص116.

[3] عبد الفتاح محمد الخواجا: الإرشاد النفسي والتربوي، دار الثقافة، ط2، عمان – الأردن، 2009م، ص126.

الفصل الثاني: الحياة في لزوميات أبي العلاء المعري

2-1 احتقار الإنسان واعتزال المجتمع.

2-2 قيمة الحياة

2-3 مقاطعة الحياة بعدم الإنجاب.

2-1احتقار الانسان واعتزال المجتمع:

وصل المجتمع العباسي في الفترة التي عاش فيها المعري دركات الفساد، حيث انتشر اللهو والمجون وشاع الانحلال بكل أشكاله، وكثر الكذب والرياء والخداع بين الناس، وهذا سبيل لأن يذم المعري عصره ويحاول الاعتزال وقد " **بلغ المستوى الأخلاقي في المجتمع الذي عاش فيه المعري من الانحطاط درجة قصوى فكثر اللهو، وشاع السكر، وانتشر الفسق، وهذه الآفات هي أمهات الرذائل الاجتماعية على اختلافها**"[1].

ويتضح ذلك في قول المعري:

الْخَيْرُ بَيْنَ النَّاسِ رَسْمَ دَائِر وَالشَّرُّ نَهْجٌ وَالْبَرِّيَّةُ مُعَلِّمٌ

طَبَعٌ خَلِقْتَ عَلَيْهِ لَيْسَ بِزَائِلٍ طُولَ الْحَيَاةِ وَآخِرٍ مُتَعَلِّمٍ[2]

حيث يرى أبو العلاء المعري أن صفة الشر متجذرة في الإنسان، منذ خلقه الله على سطح الأرض، والفساد متصل بتكوينه، ولهذا لم يرجوا الصلاح للبشر، حتى أنه لم يستثني نفسه من هذا الشر "**بحث أبو العلاء في صفات الإنسان وغرائزه المتصلة بالأخلاق، فتوصل إلى أن الانسان شرير بطبعه، وأن الفساد غريزة فيه، ولذلك لم ينتظر له اصلاحا، ولم يأمل له بشفاء، وهو لا يفرق بين إنسان وآخر، حتى أنّه حسب نفسه في جملة اللؤماء**"[3].

كما يرى أنه عام لهم، وأن القضاء والقدر هما المتحكمان في ذلك، فالخير والصلاح نادران جدا وهو يرى أن القدماء كانوا أوفر حظا في الخير بخلاف من عاصروه من بني مجتمعه

[1] كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري، الجامعة الأمريكية، بيروت – لبنان، د. ط، 1942م، ص156.

[2] أبي العلاء المعري: اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج 2، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، د. ط، 1924م، ص282.

[3] ميخائيل مسعود: أدباء فلاسفة، دار العلم للملايين، ط1، بيروت – لبنان، 1993م، ص233.

الذي كثر فيه الفساد وانتشرت فيه الآفات، وقد فضل اعتزالهم لأنه يرى "**أن الفساد شامل للناس، عام في البشر، فيكاد يقتنع أنه أصل فيهم ثابت في جبلتهم بحكم القضاء والقدر، وأما أهل الصلاح فأندر من الكبريت الأحمر، على أنه يجعل الصالحين من القدماء أوفر نسبة ولما كان هذا شأن معاصريه من فساد الجبلة وسوء التصرف آثر أن يعيش منقطعا عنهم**"[1].

وهذا ما يوضحه قوله في ديوان اللزوميات، حيث يؤكد حتمية تجذر خصلة الشر والفساد في البشر، كما أنه لا يستثني نفسه ويعد نفسه أحد الكلاب التي تتقاتل من أجل جيفة بل وألأمها، ويقصد بالجيفة هنا (الدنيا) بكل ما فيها حيث يقول:

رَأَيتُ قَضاءَ اللهِ أَوجَبَ خَلقَهُ وَعادَ عَلَيهِم في تَصَرُّفِهِ سَلبا

وَقَد غَلَبَ الأَحياءَ في كُلِّ وُجهَةٍ هَواهُم وَإِن كانوا غَطارِفَةً غُلبا

كِلابٌ تَغاوَت أَو تَعاوَت لِجيفَةٍ وَأَحسَبُني أَصبَحتُ أَلأَمَها كَلبا[2]

وقد بدت فكرة الموت والحياة والصراع بينهما عند المعري الجسر إلى الزهد في الحياة المعيشة ويعود ذلك إلى احتقاره للإنسان فهو مخلوق من تراب وسيعود إليه.

[1] المرجع السابق، ص291.

[2] أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص81.

"وأبو العلاء عندما يتحدث عن فساد الإنسان، يعتبر أن هذا الفساد حقيقة واقعة، فيحاول تعليله ورده إلى منشئه، وعنده أن الإنسان من تراب وإلى التراب عائد، فأي خير يرجى منه؟ فالأصل واحد والناس سواء"[1].

وهنا يحاول المعري البحث في سبب هذا الفساد رغم أن المنشأ والخلق مهين ودنيء، لا يستدعي الكبر والتجبر والفساد وهذا ما يوضحه قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12)**﴾ **[المؤمنون: 12]**

فالله سبحانه وتعالى خلق أبونا آدم من تربة أخذت من أديم الأرض؛ أي أن سلالته ستكون كذلك وهذا ما يستوجب التواضع لا الكبر.

وهذا ما يؤكده المعري في قوله:

تفرّعَ النّاسُ عن أصلٍ بهِ دَرَنٌ فالعالَمونَ، إذا مَيّزْتَهم، شَرَع

والجَدُّ آدمُ، والمَثوى أديمُ ثَرًى وإنْ تَخالَفَتِ الأهواءُ والشِّرَعُ[2]

حيث يوضح المعري في البيتين السابقين أن الناس من سلالة آدم وآدم من طين فلما التعالي وممارسة الانحلال الخلقي ومثواهم تراب يضم.

كما يرى في الموت صورة للحياة، وبالتالي فالحياة عنده بلا معنى، وعليه لا معنى لأي نزوع نحو السعادة الدنيوية:" **يرتبط الفعل الإنساني في ثقافة المعري بمفهوم القيمة، ومن**

[1] ميخائيل مسعود: أدباء فلاسفة، ص234.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص87-88.

خلال هذه القيمة يسعى إلى المجد والسمو، وهو يحاول أن يحل هذه القيمة مكان النسق الاجتماعي الثابت ومن هنا تبدو عبثية الحياة لديه وتبدو نزعته في التشاؤم"[1].

وقد فضل أبو العلاء المعري سجن العزلة على الاختلاط بأناس تنعدم لديهم كل معاني الإنسانية، فالوجود في نظره شر وسوء. كما تمتلئ حياته تشاؤما وحسرة لما لحق بلاده وأهلها من فساد وانحلال أخلاقي وذلك في قوله:

وَزَهَّدَني في الخَلقِ مَعرِفَتي بِهِم وَعِلمي بِأَنَّ العالَمينَ هَباءُ[2]

وأبو العلاء كان شديد الحذر في تعامله مع الناس فقد كان لا يفصح عن أرائه إلا بما اتفقوا عليه وسار بينهم خوفا من الغدر والخداع وذلك يتضح في قوله:

أَهْوَى الْحَيَاة وَحَسْبِي مِنْ يَعِيبُهَا أَنّي أَعِيشُ بِتَمْوِيه وَتَدْلِيسٍ

فكتم حَدِيثَك لَا يَشْعُرُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ رَهْطِ جِبْرِيل أَوْ مِنْ رَهْطِ إبْلِيس [3].

فالمعري لا يذم الحياة ولكن يعيب أهلها ومن عاشرهم في مجتمعه، وهذا عائد لما لحقه منهم من أذى ومكر وخداع وهذا كان دافعا لاعتزاله.

ويقول أيضا:

---

[1] سمر ديوب: الثنائيات الضدية (دراسات في الشعر العربي القديم)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د. ط، 2009م، ص248.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص34.

[3] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص42.

النَّاسِ مِثْلَ ضِرَّاء الصَّيْدِ إنْ غَفِلْت عَنْ شَأْنِهَا فَلَهَا فِي الطَّبْعِ أَسِياد

إذَا الْأَصَاغِر لَاقَتْهَا أَكَابِرُهَا فَتِلْكَ فِي الشَّرّ أشبال وآساد[1]

فمذ أن ولد المعري وهو يصارع الحياة ويتجرع آلامها، وهذا ما دفعه للجزع منها فأول ما لحقه في صغره عماه، الذي كان دافعا مباشرا لتشاؤمه الذي أصبح نارا ملتهبة تأكل كل من يقف أمامها ولا تخمد إلّا بعد أن تتركه رمادا "**كان عماه الحافز المباشر.. فوراء هذا الحافز نفس قلقة لو أعطيت ألف نور.. في ألف مشكاة لما حادت عن عنفها المدمر.. وحرفها–اللهب، تحرق به شواذ الأشياء.. ولا تطمئن إلا على ركام الرماد**"[2].

فنجده يقول في ذلك:

عمى العين يتلوه عمى الدين والدجى فليلتي القصرى ثلاث ليالي[3]

والعديد من الباحثين ينسبون تشاؤم أبي العلاء لعماه غير أن العديد من الأدباء والشعراء والمشاهير كانوا عميانا ولكن عماهم لم يكن حافزا لمقت الحياة وبغضها والزهد فيها أمثال «بشار بن برد»، و «طه حسين»، و «هوميروس» وغيرهم ممن كان عماهم سببا في بناء سيرهم ونجاحاتهم، وبحثوا عن رؤيا البصيرة دون البصر ورسموا طريقا لنجاحهم بعقولهم لا بعيونهم فمن المبصرين كثير غير أنهم نزعوا في التشاؤم مراحل كبيرة فنجد أن كثيرا "**ممن**

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص244.

[2] خليل شرف الدين: أبو العلاء المعري (مبصر بين العميان)، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، د. ط، 1995م، ص14.

[3] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص224.

فقدو أبصارهم استبدلوها برؤيا بصائرهم، وأقبلوا على الدنيا اقبال المبصرين، وأبدعوا في العديد من مجالات الحياة والفكر، وعاشوا عيشة راضية مطمئنة. هوميروس كان أعمى.. وطه حسين أن أعمى.. وبشار كان أعمى وسيرة هؤلاء لا تنم عن تشاؤم كابن الرومي المتشائم المتطير.. المبصر، بل عن تقبل الحياة واقبال عليها"[1] وهذا دليل على أن الإبداع لا يرتبط ارتباطا كبيرا بالحواس والأبصار وإنما يرتبط بشكل أكبر بالبصائر والنظرة المتفائلة للحياة.

بعد كل ما قيل فالسؤال المطروح هنا لماذا أطلق على ما يعيشه المعري من مشاعر قرف تجاه هذه الحياة تشاؤما؟ بل كان من الأجدر أن نربط ذلك بكل ما عاشه منذ ولادته، وما لحقه في عصره الذي أقل ما يقال عنه أنه أوسخ العصور العربية لما شاع فيه من فساد وانحلال أخلاقي، ومراجعته من الناحية النفسية " **فلماذا ينسب هؤلاء تشاؤم أبي العلاء إلى عماه؟ ثم لماذا يسمونه تشاؤما؟ لماذا لا يردون السبب إلى نفسيته وتكوينها.. إلى بسيكولوجية هذا التكوين.. وعلاقة هذا الكائن «النظيف» إذا صح التعبير بعصر هو من أوسخ العصور العربية"**[2].

وقرار المعري في الاعتزال لم يكن من فراغ وإنما هروبا من المصير المقيت الذي سيلحق به إذا عاشر قوما شربوا من بئر الفساد حتى الارتواء فنجده يقول:

[1] نفسه، ص15.

[2] نفسه، ص16

إذا حَضَرَت عِندي الجَماعَةُ أَوحَشَت فَما وَحدَتي إِلّا صَحيفَةُ إيناسي

طَهارَةُ مِثلي في التَباعُدِ عَنكُمُ وَقُربُكُمُ يَجني هُمومي وَأَدناسي[1]

فهو يرى أن قربه من أبناء عصره لن يجلب له غير الآثام والمشاكل، ويرى في وحدته أنيسه الذي يكتفي به عن غيره من بني جلدته.

ويقول أيضا:

أَرْجوا، أَو اعتزلوا فإنـ ي عـن مقـامِكم بمَعْـزل

قد طالَ سيري في الحيا ة ولي ببطنِ الأرضِ منزِل [2]

فعزلة أهله عنه أو وصالهم له لن يغيرا شيئا مما يطلبه المعري من وحدة ونئي عنهم، فالأمر سيان لديه، فوحدته راحة له من معاشرة قوم لم يجد بينهم مكانا يحتويه "**وقد رأينا في كثير من عصور التاريخ أن رؤية السعادة في الزهد في الحياة وفي رفض مطامعها والامتناع عن التقاتل عليها مبدأ يذيع في العصور التي تعم فيها الشرور وتضطرب فيها الأحوال السياسية حتى يود الناس أن يجدوا ملجأ يحتمون به من شرور الدنيا كما كان البوذيون يفعلون في معابدهم والمسيحيون في تكاياهم وحتى يريد الناس أن يتجردوا من التأثر بحوادث الدنيا فلا فرح ولا حزن**"[3]

---

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص256-257

[3] عبد الرحمان شكري: دراسات في الشعر العربي، ج. ت. ت محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة – مصر ،1994م، ص138.

وعما المعري كما ذكرنا سابقا لم يكن الدافع الوحيد وراء تشاؤمه بل أفكاره وآراؤه التي لم تجد ترحيبا في وطنه كانت أحد الأسباب التي دعت إلى تشاؤمه واعتزاله الناس، ليصنع لنفسه عالما خاصا به بعيدا كل البعد عما يدور خارج جدران عقله وبيته حيث يقول:

لَحا اللَّهُ قَوْمًا إِذَا جِئْتهم بِصِدْق الْأَحَادِيث قالو كَفَر[1]

فقومه وما اشتهروا به من فساد لم يستطيعوا تقبل ما جاء به المعري من حقائق، تثبت تورطهم في الفساد وانغماسهم في الرذائل، فنبذوه وخالفوه حتى لقي منهم أشد أنواع الصد، وقد اتهموه أيضا بالكفر والزندقة.

ويقول أيضا:

جَرَى النَّاس مَجْرًى وَاحِدًا فِي طِبَاعِهِم فَلَم يُرْزَق التَّهْذِيب أُنْثَى وَلَا فَحَلْ
أَرَى الأَرِي تَغَشَّاه الْخُطُوب فينثني ممرا فَهَلْ مِنْ مُقِرٍ يَحْلُو
وَبَيْنَ بَنِي حَوَّاء وَالْخَلْق كُلُّه شُرُور فَمَا هَذِهِ الْعَدَاوَة وَالنَّحْل[2]

في هذه الأبيات يرى المعري أن الفساد يجري في طباع الناس ككل فلا يمكن أن نستثني أنثى أو ذكر في ذلك، فحواء أنجبت أبناء يجري الشّر فيهم مجرى الدم.

والمعري لم يختر المكان الذي ولد فيه ولا المجتمع الذي ينتمي إليه، فهو مجبر على ذلك لم يبتغ إلى ذلك سبيلا ويؤكد على ذلك بقوله:

وُرِدْتُ إِلَى دَارِ الْمَصَائِب مُجْبَرًا وَأَصْبَحْت فِيهَا لَيْسَ يُعْجِبُنِي النَّقَل
أعاني فِي شُرُور لَا قِوَامَ بِمِثْلِهَا وأدناس طَبْعٍ لَا يهذبه الصَّقْل

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص436.
[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص175.

سَحَابٌ لِلسُّقْيَا وسحب مِن الرّدى وَنَبْت أُنَاسٍ مِثْلَ مَا نَبْتَ الْبَقْل

وللحي رِزْقٌ مَا أَتَاهُ بِسَعْيِه وَعَقْل وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْفَعُه العقل[1]

فالمعري يجد نفسه ثقيلا بين أناس يفتقد بينهم التواصل؛ ويرجع ذلك إلى عماه الذي كان سببا في نقص تلقيه العلوم والآداب السارية في المجتمع، فلم يجد لنفسه مكانا بينهم خاصة في ظل الفساد الذي ملأ المجتمع حينها، لذلك قرر الاعتزال طلبا للراحة التي لم تتوفر له بين قومه حيث يقول في ذلك:

في الوحدة الراحة العظمى فآخي بها قلبا في الكون بين الناس أثقال

إن الطبائع لما ألفت جبلت شرا تولد فيه القيل والقال[2]

ونجده يقول أيضا:

سجايا كُلّها غدرٌ وخبثٌ توارثها أناس عن أناس[3]

حيث أن الصفات التي يتحلى بها الناس في عصره متوارثة جيلا عن جيل فهي متأصلة فيهم، لا يستطيعون تركها أو التخلي عنها، والمعري قرر الاعتزال عن الناس فلا صديق يؤاخيه ولا عدو ينشغل بعداوته، كما لم يجد أرضا تحتويه وتحتوي أفكاره ومعتقداته التي يتبناها عقله.

وقد قرر الاعتزال بعد العودة إلى المعرة، كما اختار التوقف عن أكل كل اللحوم وكل ما يصدر عن الحيوانات باختلاف أنواعها " **فلما وصل أبو العلاء إلى المعرة اعتزل في بيته**

[1] المصدر نفسه، ص179.

[2] المصدر نفسه، ص182.

[3] المصدر نفسه، ص45.

منذ400هـ، وانقطع إلى الدرس والتدريس، ثم انقطع عن أكل اللحمان وسائر ما يخرج من الحيوان كاللبن والبيض والعسل؛ وسمى نفسه كما يذكر أكثر قدماء المؤرخين ومحدثيهم، رهين المحبسين (البيت والعمى)"[1]

وقد أكمل باقي حياته في التسبيح والتأليف والتدريس أيضا، وأما امتناعه عن أكل اللحوم، فلم يكن لحاجة أو عوز لأنه كان ذا مال وجاه ينفقه على الفقراء والمحتاجين وطلبة العلم، كما قال العديد من المؤرخين حول حياته، ولكنه فضل الزهد في الحياة على عيشة الغنى "**ويبدو لنا أن تقشفه لم يكن من فقر فحسب، فإن الدنيا أقبلت عليه فيما بعد، ذكر الشاعر الفارسي والداعية العلوي ناصر خسرو حينما مر بالمعرة سنة438هـ عن المعري أنه رجل ذو نفوذ عظيم في بلدته وذو غنىّ، ينفق على الفقراء والمعوزين مع أنه يعيش عيشة الزهد والتقشف"**[2]

ومما سبق نلاحظ أن احتقار المعري لناس واعتزاله المجتمع لم يكن من فراغ، بل كان نتيجة لما عاشه المعري طيلة حياته فهو لم يتخلص من مصيبة إلاّ وقع في أخرى، غير أنه لم يجد في مجتمعه مكانا يحتوي أفكاره الإصلاحية، في ظل مجتمع أقل ما يقال عنه أنه فاسد من جميع النواحي "**أما آراؤه في الزهد والزهاد فهي أضاحيك وهي تشهد بأنه يعرف الزهد، لأنه كان في سريرة نفسه يؤمن بأن الناس لا يزهدون إلا مخادعين أو مرائين، ولعله لم يزهد إلا خداعا، أو رياء، بل لعله جهل كيف لطف الله به حين حجب بصره عن**

[1] عمر فروخ: أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، دار الشرق الجديد، بيروت – لبنان، ط1، 1960م، ص20.

[2] المرجع نفسه، ص20.

أسباب الشهوات. فلو أن الله حفظ عليه نور العيون لعرف أن الفضائل لا تشق ولا تصعب إلا على من يقارعون فتن الوجود".[1]

2-2قيمة الحياة وشقاؤها:

ينظر جميع الزهاد للحياة نظرة ازدراء واحتقار للمادة، واعتبارها كيانا فانيا يجب تطهير الروح منها، ولا تختلف نظرة المعري للحياة عن نظرتهم لها فهو يعتبر أيضا أن الحياة عبارة عن زمن قصير يمر خلاله الإنسان ليصل إلى دار الفناء، حيث تتحرر الروح من هذا الجسد الخبيث وهذا ما يعرف عند الزهاد بمبدأ الحياة ونبذ الحطام ولهذا "**لا يختلف نظر أبي العلاء إلى الحياة كثيرا عن نظر سائر الزهاد عربا كانوا أو فرسا أو هنودا أو يونانيين، أو مسلمين كانوا أو نصارى أو يهودا أو وثنيين. فالنزعة الزهدية عند هؤلاء جميعهم تنبثق من أساس جوهري واحد هو احتقار المادة ومحاولة تطهير الروح من أدناسها، ولذلك جمعهم مبدأ الحياة ونبذ الحطام"**[2].

ويخاطب الحياة قائلا:

أَخوكِ مُعَذَّبٌ يا أُمَّ دَفرٍ أَظَلَّتهُ الخُطوبُ وَأَرهَقَتهُ

وَما زالَت مُعاناةُ الرَزايا عَلى الإِنسانِ حَتّى أَزهَقَتهُ

كَأَنَّ حَوادِثَ الأَيّامِ آمٌ تُريقُ بِجَهلِها ما أَدهَقَتهُ

تَروقُكَ مِن مَشارِبِها بِمُرٍّ وَكُلُّ شَرابِها ما رَوَّقَتهُ

[1] أحمد أمين: نظرة أبي العلاء إلى العالم، مجلة الهلال، القاهرة – مصر، يونيو1938م، ص893.

[2] كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري، الجامعة الأمريكية، بيروت – لبنان، د. ط، 1942م، ص321.

وَنَفسي وَالحَمامَةُ لَم تُطَوَّق مُيَسَّرَةٌ لِأَمرٍ طَوَّقَتهُ

أَرى الدُنيا وَما وُصِفَت بِبِرّ مَتى أَغنَت فَقيراً أَوهَقَتهُ

إِذا خُشِيَت لِشَرٍّ عَجَّلَتهُ وَإِن رُجِيَت لِخَيرٍ عَوَّقَتهُ

حَياةٌ كَالحِبالَةِ ذاتُ مَكرٍ وَنَفسُ المَرءِ صَيدٌ أَعلَقَتهُ

وَأَنظُرُ سَهمَها قَد أَرسَلَتهُ إِلَيَّ بِنَكبَةٍ أَو فَوَّقَتهُ

فَلا يُخدَعُ بِحيلَتِها أَريبٌ وَإِن هِيَ سَوَّرَتهُ وَنَطَّقَتهُ

تَعَلَّقَها اِبنُ أُمِّكَ في صِباهُ فَهامَ بِفارِكٍ ما عُلِّقَتهُ

أَجَدَّت في مُناهُ وُعودَ مَينٍ إِلى أَن أَخلَفَتهُ وَأَخلَقَتهُ

يُطَلِّقُ عِرسَهُ إِن مَلَّ مِنها وَيَأسَفُ إِثرَ عِرسٍ طَلَّقَتهُ

أَكَلَّتهُ النَهارَ وَأَنصَبَتهُ وَأَشكَتهُ الظَلامَ وَأَرَّقَتهُ

سَقَتهُ زَمانَهُ مِقراً وَصاباً وَكَأسُ المَوتِ آخِرُ ما سَقَتهُ [1]

وقد عبر المعري عن ذلك في لزومياته بشكل واضح في بعض الأحيان، كما صور قيمة الحياة بشكل مجازي لتوضيح المقاصد التي يبتغيها من خلال ديوانه بجزئيه "**وللمعري أقوال كثيرة في لزومياته تشير إلى قيمة الحياة بعضها مصوغ بشكل تحديدي وأكثرها مسبوك بقالب مجازي تشبيهي**"[2].

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص410.

[2] نفسه، ص321.

فالشاعر يذم الحياة ويرجو تركها، فليس فيها ما يدعوا للبقاء، فهو يرى أن الدنيا لم تقدم له شيئا يمكن أن يجعله يحبها وإنما كل ما قاساه خلال حياته يدعوه لكرها ومقتها، والدعوة للحذر من غدرها في كل حين فنراه يقول:

من خلال أبيات القصيدة نلاحظ أن المعري يخاطب الدنيا ويكنيها بأم دفر[1]، هو لقب قديم أطلقته العرب على الدنيا كراهة واحتقارا لها لما فيها من خطوب ومشاكل، فالشاعر يعدد سلبياتها وما تجنيه على الإنسان منذ ولادته، فنجده تارة يشبهها بالأم التي تجني على أبنائها بجهلها، وتارة أخرى يشبهها بالحبل الذي يصنع منه الشرك الذي تقع فيه الحيوانات فريسة فتعلق، فالإنسان ما إن يرجوا الخير إلا شوهته كما أنه إذا خاف الشر جاءته به ركضا، فالدنيا من خلال القصيدة لم تجلب على الناس غير الهموم والأسقام لهذا نجد أن المعري يذمها وينظر لها نظرة سوداوية وهو "**يرى أن الدنيا لا تستحق البقاء لحظة، فليت العالم الإنساني ينقرض في لمحة**"[2].

ونجده يقول أيضا:

وهل تظفَرُ الدّنيا عليّ بمِنّةٍ وما ساءَ فيها النّفسَ أضْعافُ ما سرّا

يُلاقي حليفُ العيشِ ما هوَ كارِهِ ولو لم يكُنْ إلاّ الهواجرَ والقُرّا

نوائبُ منها عمّتِ الكهلَ، والفتى وطفلَ الوَرى، والشيخَ، والعبدَ، والحرّا[3]

---

[1] أم دفر: د ف ر: الدَّفْرُ النتن خاصة يقال دفرا له أي نتنا له ومنه قيل للدنيا **أم دفر** وهو اسم والمصدر بفتح الهاء وبابه طرب ويقال للأمة يا دَفَارِ بكسر الراء أي دفرة منتنة، وهو اسم قديم للدنيا.

[2] أحمد أمين: نظرة أبي العلاء إلى العالم، مجلة الهلال، القاهرة – مصر، يونيو1938م، ص856.

[3] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص351.

نلاحظ أن المعري يبرر سبب كرهه للدنيا، بأنها لم تمن عليه بأي شيء يمكن أن يكون سببا في أن يتعلق بها ويحبها، فالدنيا لم تترك كبيرا أو صغيرا، عبد أو حرا إلّا أرهقته وجلبت له الهم والمصائب.

وأما في قوله:

لَعَمرُكَ ما الدُنيا بِدارِ إِقامَةٍ وَلا الحَيُّ في حالِ السَلامَةِ آمِنُ

وَإِنَّ وَليداً حَلَّها لَمُعَذَّبٌ جَرَت لِسِواهُ بِالسُعودِ الأَيامِنُ

وَنالَ بَنوها ما حَبَتهُم جُدودُهُم عَلى أَنَّ جَدَّ المَرءِ في الجَدِّ كامِنُ[1]

وهنا يؤكد المعري ذلك، ولكنه يضيف إلى هذا أن الدنيا تمنح خيرها وفضلها لمن كان راكضا خلفها طلبا إياها محبا لها.

ويقول أيضا:

أُريدُ مِنَ الدُنيا خُمودَ شُرورِها فَتوقِدُ ما بَينَ الجَوانِحِ نارَها

تُضَلِّلُني في مَهمَهٍ بَعدَ مَهمَهٍ عَدَمتُ بِهِ أَنوارَها وَمَنارَها

وَتُظهِرُ لي مَقتاً وَأَضمُرُ حُبَّها كَأَنّي جَهولٌ ما عَرَفتُ شَنارَها[2]

لا يرتجي المعري من هذه الدنيا إلّا أن تكف شرها عنه، ولكنها تطبق العكس فتلهب في صدره نار الهموم والمصائب، فهي لم يكفها فقدان بصره بل راحت تمقته وتكثر من

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، 340.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص356.

ذلك، رغم أنه مقبل عليها محبا لها مثل الجاهل الذي يحب عدوه "**والحقيقة أن عائب الدنيا إنما يعيبها لأنه يود لو كانت أهنأ وأسعد فهو يرغب عنها لشدة رغبته فيها وفي السعادة التي كان يأملها فيها ولم تستقم له**"[1]

ويقول أيضا:

أَمّا الحَياةُ فَفَقرٌ لا غِنى مَعَهُ وَالمَوتُ يُغني فَسُبحانَ الَّذي قَدَرا

لَو أَنصَفَ العَيشُ لَم تُذمَم صَحابَتَهُ وَما غَدَرنا وَلَكِن عَيشُنا غَدَرا[2]

فالحياة في نظر المعري لم تمنح الإنسان غير الفقر والمصائب، والفقر الذي يقصده هنا فقر المال والمحبة والراحة، فهو يجد في الموت الغنى كله، ويبرر ذمه للعيش بأنه غادر لم ينصف أحدا.

ويقول أيضا:

أَمَرَّت هَذِهِ الدُنيا وَمَرَّت وَإِمراراً أُوَنِّبُ لا مُرورا

وَأَغرانا بِها طَبعٌ لَئيمٌ وَأَعطَت مِن حَبائِلِها غُرورا

قَرَتكَ مِنَ القِرى وَقَرَت بِهُلكٍ وَأَقرَت عِبأَها وَقَرَت شُرورا

أَيَلبَثُ لي فَأَذكُرَهُ زَمانٌ فَإِنّي خِلتُهُ نَسِيَ السُرورا[3]

---

[1] عبد الرحمان شكري: دراسات في الشعر العربي، ج. ت. ت محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة – مصر،1994م، ص138.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص360.

[3] المصدر نفسه، ص365.

في هذه الأبيات يتساءل المعري عن حال الدنيا وكيف أنها مَرَتْ مُرَّةً، كما يؤنب مُرَها لا مرورها، فالزمن لا يذم وإنما الأهوال والمصائب التي كسرت كاهل الإنسان هي من تذم، ينخدع بها الناس ويتعلقون بحبالها فما ينالهم منها غير الشر.

ويقول أيضا:

لَقَد وَضَعَت حَوّاءُ أُمُّكَ بِكرَها بِدارِ الرَزايا مِن عَوانٍ وَمِن بِكرِ

وَلَم يَتَناوَل دُرَّةَ الحَقِّ غائِصٌ مِنَ الناسِ إِلّا بِالرَوِيَّةِ وَالفِكرِ

صُروفُ اللَيالي إِن سَمَحنَ لِماجِدٍ بِذِكرٍ جَميلٍ عُدنَ يَعصِفنَ بِالذِكرِ[1]

يبدأ المعري سخطه على الدنيا ببداية خلق أمنا حواء، فهو يرى أنها قد وضعت حملها في دار أقل ما يقال عنها أنها دار رزايا وهموم، فكان ذلك بداية شقاء البشرية.

فالإنسان لا يدرك حقه في هذه الحياة إلّا إذا كان العقل دليله، فهي ما إن تمن على الإنسان بفضل تذيقه بدلا عنه ألف مكروه.

ويقول أيضا:

سَكَنتُ إِلى الدُنيا فَلَمّا عَرَفتُها تَمَنَّيتُ أَنّي لَستُ فيها بِساكِنِ

وَما فَتِئَت تَرمي الفَتى عَن قُسِيَّها بِكُلِّ الرَزايا مِن جَميعِ الأَماكِنِ

وَما سَمَحَت لِّزائِراتِ بِأَمنِه وَلا لِلمَواكي في أَقاصي المَواكِنِ

[1] المصدر نفسه، ص375.

رَكَنّا إِلَيها إِذ رَكَونا أُمورَها فَقُل في سَفاهٍ لِلرَواكي الرَواكِنِ[1]

يشكو المعري حال الدنيا، وكيف أنه صدم بعد عيشه فيها وتمنى أنه لم يولد أبدا ولم يصبه من مرها ما أصابه، فهي ترمي الناس بكل أنواع الرزايا أينما كانوا، فهي أسفه مكان سكنه وآوى إليه.

ويقول أيضا:

وكم أتاكَ بأشباهٍ وألوانِ الدّهرُ لوْنانِ أعْيى ثالثٌ لهما

بالعَقلِ أفضَلِ أنصاري وأعواني لا أشرَبُ الرّاحَ، أشري طيبَ نَشوَتِها

أرادَها لعَدوٍّ دونَ إخوان لو كانَ يَعرِفُ دُنياهُ مُصاحِبُها[2]

يفضل المعري مصاحبة عقله الذي عزله عن العالم، خير من مصاحبة دنيا لو أدرك مصاحبها ما تخبئه له لتمناها لعدوه دون أخيه وخليله.

ويقول أيضا:

ذَمَمتُكِ أُمَّ دَفرٍ فَاِسمَعيني وَجازيني بِذَلِكَ أَو دَعيني

فَما كُنتُ الحَبيبَ إِلَيكَ يَوما فَأَقرُبُ في الثَوِيِّ لِتَخدَعيني

لَعَنتُكَ جاهِداً وَقَد اِشتَبَهنا كِلانا راحَ في بُردَي لَعينِ [3]

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص375.

[2] المصدر نفسه، ص382.

[3] المصدر نفسه، ص389.

يوجه المعري خطابه للدنيا ويخبرها بأنه ذمها ويلقبها بأم دفر وهو أسفه لقب عرف لها، فالمعري لم يكن حبيبها يوما؛ لأنها لم تمنحه منذ ولادته غير الهموم، كما يخبرها أنه اجتهد في لعنها ويطلب منها إما تركه وشئنه أو تضيقه جزاء ذمه لها لأنه مل منها.

2-3 مقاطعة الحياة بعدم الإنجاب:

بعد ما قاساه المعري من شرور الدنيا ومصائبها منذ أن ولدته أمه، ومعايشته لظروف بلاده وأهلها التي ملؤها فسادا وانحلال بجميع ألوانه، لهذا وجد المعري أن سر خلاص البشرية من هذه الحياة البائسة يكمن في إيقاف النسل وذلك عن طريق عدم الإنجاب أو الزواج، فبذلك يتوقف هذا النسل المشؤوم عن التكاثر ويفنى فتتحرر أرواح البشر من جميع المصائب والنكبات التي تصيبها، كما أن "**المتاعب التي يتلقاها المتزوج في حياته الزوجية أهابت بالمعري إلى أن يؤثر العزوبة وينصح بلزومها...أفات الزواج عند المعري عديدة جدا تبتدأ بالحبل والوضع وتتجلى في الوأد والثكل، واليتم والترمل، والنشوز والعقوق، ثم المرض والموت، مما يحول النعيم المنشود في الحياة العائلية إلى جحيم مستعر**"[1].

فالمعري يجد في التناسل ذنبا كبيرا يرتكبه الأهل تجاه أبنائهم، ولكنهم يجازون نتيجة ذلك عقوقا ونشوزا وهما وغما.

فنجده يقول في ذم الإنجاب:

فَلَيتَ حَواءُ عَقِيمًا غَدَتْ لاَ تَلدُ النَاس ولَا تَحْبَل[2]

[1] كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري، الجامعة الأمريكية، بيروت – لبنان، د. ط، 1942م، ص230.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص194.

في هذا البيت يتمنى المعري لو أن الله خلق أمنا حواء عاقرا، لا هي تنجب فتشقى بوليدها ولا الوليد يشقى بهموم الدنيا.

ويقول أيضا:

فَإِن أَنتَ لَم تَملِك وَشيكَ فِراقِها فَعِفَّ وَلا تَنكِح عَواناً وَلا بِكرا[1]

المعري ينصح بعدم النكاح أو الزواج أبدا وهو يفضل التعفف على ذلك، لأن الإنسان سيفارق الدنيا فلما الزواج والإنجاب وحمل الهموم التي لا طائل منها "**يخلص أبو العلاء إلى الكلام على الشقاء الذي يتأتى من النسل، فلسفيا فيما يتعلق بالمنسول، واجتماعيا فيما يتعلق بالناسل**"[2]

ويقول أيضا في شر النسل:

والأرض ليس بمرجوٍ طهارتها إلّا إذا زال عن آفاقها الأنس

تناسلوا فنمى شرّ بنسلهم وكم فجور إذا شبّانهم عنسوا[3]

المعري يرى في أن تناسل الناس وتكاثرهم هو من يفشي الشر في الدنيا لأنهم مجبولون عليه، فلو توقفوا عن الولادة سيكف شرهم وتسلم الدنيا من آثامهم.

ويقول فيه أيضا:

خير النساء اللواتي لم يَلِدن لكم فإن ولدن فخير النسل ما نفعا

---

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، 346.

[2] عمر فروخ: أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، دار الشرق الجديد، بيروت – لبنان، ط1، 1960م، ص113.

[3] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص22.

وأكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آبائه دفعا[1]

كما يفضل المرأة العاقر على الولود، لأن الوالدان يشقيا بإنجابهما لأبناء سيجلبون عليهم المتاعب في حياتهما.

ويقول أيضا في شر الإنجاب:

يشقى الوليد ويشقى والداه به وفاز من لم يوله عقله ولد[2]

وهو يؤكد على ما قاله في هذا البيت، فشقاء الآباء محتوم وحاصل إذ اقترن بالولادة والتكاثر والفائز في نظره من صرف تفكيره عن إنجاب ولد يحمل اسمه.

لقد كتب المعري العديد من الأشعار التي تذم الوالدين وتحملهما مسؤولية ما يعانيه أبنائهم، **"ومع كل ما ينسب المعري إلى الوالدين من الجناية على أولادهم، لأنهم يأتون بهم إلى هذا العالم المملوء بالشقاء والآلام، فإنه يحث الأولاد على إكرام أبائهم والمبالغة في إكرام أمهاتهم"**[3]

المعري لم يطلب من الأبناء أن يعقوا أبائهم، وإنما حاول طرح مشكلة الوجود من وجهة نظره وما عايشة من خلال مجتمعه.

---

[1] المصدر نفسه، ص91.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص239.

[3] عمر فروخ: أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، دار الشرق الجديد، بيروت – لبنان، ط1، 1960م، ص114

الفصل الثالث: الموت في لزوميات المعري

3-1 الموت راحة.

3-2 الموت والبعث

3-1 الموت راحة:

إن الحياة البائسة التي عاشها المعري وما شهده من مصائب منذ ولادته، كان سببا وجيها لأن يمقت الحياة واستنتاجه أن الدنيا وما فيها عبارة عن سجن كبير، لن يتحرر منه إلاّ عن طريق الموت "**فالعاقل يؤثر راحة الموت على عناء الحياة ويستعد لساعة الرحيل وي حب بالموت متى جاء**"[1].

ومحبة أبي العلاء للموت ليس بالشيء الغريب فهو منعزل عن شؤون مجتمعه، منصرف عن ملذاتهم، كما نجد "**لأبي العلاء فلسفة خاصة فالموت في رأيه حقيقة أزلية والفناء ضرورة للوجود**"[2].

ويقول فيه:

أن يقرب الموت مني فلست أكره قربه

وذاك أمنع حصن يصير القبر دربه[3]

وهذا يوضح مدى رغبته فيها وعدم خوفه منها، فهي ثابتة لا تزول عكس الدنيا الزائلة بكل ما فيها الجالبة للهموم والمصائب.

---

[1] كمال خليل اليازجي: جولة في لزوميات المعري، الجامعة الأمريكية، بيروت – لبنان، د. ط، 1942م، ص331

[2] محمد عبد الله عنان: وفاة أبي العلاء ورأيه في الموت وما بعده، مجلة الهلال، ج8، مج46، القاهرة – مصر، 1938م، ص923.

[3] أبو العلاء المعري: اللزوميات، أبي العلاء المعري: اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج1، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، د. ط، 1924م، 107-108.

والموت قبل أن يكون مخيفا فإنه مريح، في نظر المعري فمن طلب الراحة يجب أن يتقبل الموت ولا ينفر منه "**فالموت مريح للأجسام من احتمال الأثقال والنهوض بالعباد... فمن كره الجهد وتبرم بالمشقة وسئم العنف واحتمال الأثقال وآثر الراحة الكبرى، فسبيله أن يؤثر الموت، لأنه يحط عنه كل ثقل ويلقي عنه كل عبء**"[1]

فنجده يقول في راحة الموت:

حياتي تعذيب وموتي راحة وكل ابن أنثى في التراب سجين

أقبري بوهد أم وجين أحله فإن أديم الادمي وجين[2]

فالموت في نظر المعري نجاة من عذاب الدنيا وهمومها التي لحقته وكانت سبب عزلته، فرغبة البشر وحبهم للحياة والبقاء على قيدها، قد أزاغت عقولهم وعيونهم عن إدراك فناء الأشياء وزوالها، كما يعد الفساد الذي يملأ مجتمع الشاعر سببا آخر لمقت الحياة، فـ" **حسبنا أن الموت يأتي حتى على الأنبياء والرسل**"[3].

ويقول ترغيبا في الموت:

أهلا بغائلة الردى وإيابها كيما تسترني بفضل ثيابها

دنياك دار إن يكن شهادها عقلاء لا يبكوا على غيابها[4]

---

[1] طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، د. ط، القاهرة – مصر، 1939م، ص93.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2.

[3] عدنان حسين العوادي: الشعر الصوفي حتى أقول مدرسة بغداد وظهور الغزالي، دار الرشيد للنشر، د. ط، بغداد – العراق، 1979م، ص139.

[4] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص135.

فالمعري يرحب بالموت ويرى أن ثياب الدنيا كلها لم تكن ساترة له، ولكن الكفن الذي يلف فيه الميت أفضل ساتر للميت، فالعقلاء في نظره وحدهم من يفضلون الموت على الحياة الدنيا.

فالموت في نظر المعري مؤدب يبعث برسائل من خلال الجنائز والمآتم التي تمر يوميا أمام الناس "**لا يأتي الناس غيلة ولا يأخذهم على حين غرة، بل هو يسوق إليهم كل يوم نذيرا يذكرهم به وواعظا يؤكد مجيئه، ففي الجنائز التي تحمل كل يوم إلى التراب قريبا منا أو بعيدا، صغيرا وكبيرا، يطويه عنا الموت مرغمين لا نملك أن نرد شيئا. لشاهد لا يكذب على أن الموت آت لا محالة على كل أحد**"[1] فهو آت لا مهرب منه ولا مفر.

ويقول في شأن الموت أيضا:

تعالى رازق الأحياء طرًّا لقد وهت المروءة والحياء

وإن الموت راحة هبرزي[2] أضر بلبه داء عياء[3]

المعري يرى في الموت راحة وسكينة للرجل الذي أعياه وفتك بجسده المرض رغم حسنه وبهائه، وسيفضل الموت على البقاء حيا يصارع جسده المرض دون شفاء و"**الموت عنده هو الإكسير الذي يطهر ويشفي**"[4]

[1] عدنان حسين العوادي: الشعر الصوفي حتى أقول مدرسة بغداد وظهور الغزالي، دار الرشيد للنشر، د. ط، بغداد – العراق، 1979م، ص138.

[2] الهبرزي: قال ثعلب هو كل جميل وسيم، ينظر– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص42.

[3] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص41–42.

[4] سمر ديوب: الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق – سوريا، 2009، ص160.

فالمعري يرى في الموت مستقبلا معلوم، آت لا مهرب منه فـ" **الذي لا يموت اليوم سيموت غدا، وما أقرب اليوم من الغد فكل آت قريب، وعلى هذا فما أقرب الأحياء من الأموات**"[1].

ويقول في حتمية الموت:

وللموت كأس تكره النفس شربها ولابد يوما أن نكون لها شربها[2]

والنفس البشرية بعد أن ألفت الحياة وملذاتها، ليس من السهل عليها ترك كل ما ألفته مواجهتا الموت ومصيرها المجهول تحت غياهب التراب.

قبل أن يعتزل المعري الناس كان محبا للحياة كارها للموت، ولكن بعد ما شهده من فساد مجتمعه انقلب الوضع فأصبح طالبا للموت راغبا فيها، فهي الخلاص بالنسبة له من حياة مليئة بالرذائل ويقول في ذلك:

قديما كرهت الموت والله شاهد وقد عشت حتى أسمحت لي قرونتي

وأحسبه لو جاءني لأبيته ومن عند ربي نصرتي ومعونتي

إذا أنا واراني التراب فخلني وما أنا فيه قد كفيت مؤونتي[3]

[1] حسين أحمد عبد الحميد عبد السلام، الموت في الشعر الجاهلي، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة – مصر، 1991م، ص131.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص92.

[3] المصدر نفسه، ص170-171.

فهو يرى أن الموت كافية شافية، لا يطلب المرء فيها قوتا ولا ملبسا، كافية بذاتها عن كل الملذات، كما يجد في محبة الناس مينا عليه ولكن محبة الله أعظم وأجمل، لهذا شوقه للموت وعدم رهبته منها تزداد يوما بعد يوم حيث يقول:

ولم يحبني أحد نعمة ولكن مولى الموالي حبا

نصحتك فاعمل له دائبا وإن جاء الموت فقل مرحبا[1]

فهو ينصح الناس بالعمل للآخرة وعدم الانصياع لشهوات النفس، حتى إذا جاءتهم الموت قالو مرحبا لأنهم سيرحلون ونفوسهم طاهرة خالية من الذنوب والآثام.

3-2الموت والبعث:

شغل موضوع ما بعد الموت العديد من الباحثين والمفكرين، وخاصة عملية البعث فقد طرحت عملية الانتقال من وضع إلى وضع آخر مجهول العديد من التساؤلات وكيف تكون الحياة بعد الموت وهل نبعث أم لا؟

"إن الانتقال من مرحلة إلى مرحلة.. في رحلتنا إلى الحياة الأبدية لا يتم إلاّ بقدرة الله سبحانه وتعالى وحدها.. وحين نخرج من قبورنا فليست هذه هي الحياة الآخرة.. أنها خروج إلى يوم الحساب يوم يبعث الناس جميعا من قبورهم التي دفنوا فيها"[2].

[1] المصدر نفسه، ص111.

[2] محمد متولي الشعراوي: الموت والحياة، مكتبة الشعراوي الإسلامية، د. ط، مصر، د.س، ص110.

كما شغل توجه أبي العلاء المعري الديني جل المفكرين الذين تناولوا كتاباته بالدراسة والتمحيص، فمنهم من وجد أنه ملحد زنديق في بعضها، لا يؤمن بالبعث ولا الحشر، ومنهم من يرى بأن تقواه غلبت تقوى من عاصروه، فأما الفئة الأولى ممن اتهموه بالزندقة فقد كانت حجتهم في ذلك بعض أشعاره في لزومياته حين قال:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك[1]

فهو يشك في البعث والحشر، حين يستغرب أن يعيد الله جمع أشلائه بعد أن بليت كما يستغرب أن تكون نشوة الحياة وسعادتها مشابهة لنشوة الخمر وسعادتها وهذا أمر باطل لا يمكن للعقل أن يستسيغه:

رب روح كطائر القفص المسجون ترجو بموتها التسريحا

فروحكم بباطل شيمة الخمر فمهلا لا أوثر التفريحا

كيف لي أن أكون في داري الأخرى معاني من شقوة مستريحا[2]

ويقول أيضا:

لقد أسفت وماذا ردّ لي أسفي لما تفكرت في الأيام والقدم

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص147.

[2] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، 218.

في العدم كنا وحكم الله أوجدنا ثم اتفقنا على ثان من العدم

سيان عام ويوم في ذهابهما كأن ما دام ثم أنبت لم يدم[1]

وفي رأي المعري لقد خلق الله الإنسان من عدم وسينتهي به المطاف إلى الفناء وبهذه النتيجة سيفنى الإنسان وكأنه لم يخلق أصلا وهذه النظرية تؤكد نفيه للبعث.

ومن القائلين بكفره والحاده ياقوت الحموي حيث قال: "**وكان متهما في دينه يرى رأي البراهمة، ولا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل والبعث والنشور**"[2]

فالمعري تأثر تأثرا كبيرا بالحضارة الفارسية وتبنى العديد من أفكارها، ولهذا نجد أن هذ الأفكار تتجلى في أشعاره بشكل كبير، فأما امتناعه عن أكل اللحوم فهو يظن أن يرحم الحيوانات بفعلته " **وكان ظاهر أمره يميل إلى مذهب البراهمة، لأنهم لا يرون ذبح الحيوان ويجحدون الرسل، وقد رماه جماعة بالزندقة والإلحاد، وذلك أمر ظاهر في كلامه وأشعاره، وكان يرد على الرسل ويعيب الشرائع، ويجحد البعث وأقواله تدل على اختلال عقيدته**"[3].

إن موت الإنسان وانتقاله من الدنيا إلى القبر ليس النهاية، وإنما هناك حياة أخرى بعد الموت وعد بها الله عباده، فمن عمل خيرا منهم أسكنه الجنة ومن جنى عليه شره خلد في النار.

---

[1] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص313.

[2] عبد السلام هارون وآخرون: تعريفات القدماء بأبي العلاء المعري، إ. طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر،1965م، ص76.

[3] نفسه، ص144.

وموضوع الحياة الجديدة أخذ حيزا كبيرا من فكر أبي العلاء المعري فهو متأكد أن الروح الطاهرة بعد أن تنفصل عن هذا الجسد الخبيث ستعود إلى أصلها الأول وتنعم في الآخرة، أم الجسد فمآله لمنبعه وهو أديم الأرض "**وفي كثير من اللزوميات يورد أبو العلاء رأي الإسكندريين (الأفلاطونيين المحدثين)، ذلك الرأي الذي شاع في أيامه وهو أن النفس إذا فرقت الجسد صعدت إلى الملأ الأعلى**"[1] وهذه الرؤيا ليست مطلقة بالنسبة له فهو غير مقتنع بأن هناك حياة بعد الموت "**ولكنك إذا سألت المعري رأيه الخاص فإنه يعلن بكل صراحة أنه لا يعرف مصير الروح ولا يمكن لأحد أن يعرفه**"[2].

أما القائلون بجهل المعري حول هذه الحقيقة فحسبهم أن المعري مسلم والإسلام بني على الإيمان بهذه الحقيقة وهي البعث واليوم الآخر وأنّ الله سيحشر الناس يوم القيامة للحساب.

وأما القائلين بتدينه وتقواه فلهم حججهم القوية في ذلك نجد قول ابن العديم في كتابه الإنصاف والتحري حيث يرى أن الذي يذم المعري إنما يذمه لأنه لم يرقى إلى مستوى فكره وقدراته الإبداعية حيث قال: "**قصده جماعة لم يعوا وعيه، وحسدوه إذا لم ينالوا سعيه، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد، فحين علموا سلامتها من العيب والشين، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين، ورموه بالإلحاد والتعطيل، والعدول عن سواء**

[1] عمر فروخ: أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت – لبنان، ط1، 1960م، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت – لبنان، ط1، 1960م، ص120.

[2] نفسه، ص120.

السبيل، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملاحدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوبا، وحسناته ذنوبا، وعقله حمقا، وزهده فسقا"[1]

فمن نسبوا الفساد والإلحاد والزندقة للمعري إنما نسبوها لعدم قدرتهم على مجاراته فكريا وشعريا، لهذا لم يجدوا سبيلا لدحضه سوى رميه بأبشع الصفاة واتهموه بالإلحاد والزندقة.

ولكن نجد من أشعار المعري ما يؤكد تقواه وتدينه ومن أقواله:

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر لخلق ولا بعث لأموات[2]

في هذا البيت دليل واضح وجلي على إيمان المعري الكبير، بالبعث والقدرة الإلهية على إعادة الأجساد البالية إلى حالتها الأولى.

ومتى شاء الذي صورنا أشعر الميت نشورا فنشر

فافعل الخير أمل غبه فهو الذخير إذا الله حشر[3]

أما في هذين البيتين فهو يدعوا إلى ضرورة العمل من أجل الآخرة، فالله حينما يرث الأرض ومن عليها سيعيد بعث البشرية جمعاء وتحشر للحساب.

إذا ما أعظمي كانت هباء فإنّ الله لا يعييه جمعي[4]

---

[1] عبد السلام هارون وآخرون: تعريفات القدماء بأبي العلاء المعري، إ. طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر،1965م، ص484.

[2] أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص175.

[3] المصدر نفسه، ص 431-432.

[4] أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص96.

في هذا البيت يؤكد على قدرة الله سبحانه وتعالى على إعادته لصورته الأولى، بعد أن أبلت الأرض جسده بعد موته وجمع رفاته وكسائها بلحمها وعظامها.

إن شئت أن ترزق الدنيا ونعمتها فخل دنياك تظفر بالذي شيتا

أنشأت تطلب منها غير مسعفة وما لها أيها الإنسان أنشيتا[1]

أما قوله:

أحسن بدنيا القوم لوكان الفتى لا يقتضي وأديمه لا يحلم

وكأنما الأخرى تيقظ نائم وكأنما الأولى منام يحلم[2]

في هذين البيتين يوضح المعري أن الحياة الدنيا تشبه الحلم، أما الآخرة فهي إيقاظ من هذا الحلم الذي عايشه الإنسان بكل ما فيه من أحداث حلوها ومرها.

معاناة المعري وقسوة الدنيا عليه، وفساد مجتمعه، ولجوئه للعزلة كونوا لديه فكرا جديدا يختلف تماما عما كان سائدا قبل ذلك، وهذا الفكر قد سبب له العديد من الانتقاد بيد أنه وجد من يدعمه ويفتح له ذراعيه مرحبا ومهلا.

[1] المصدر السابق، ص166.

[2] أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص282.

الخاتمـــــــة

استطاع أبو العلاء المعري أن يحدث تغيرا كبيرا في عصره، بسبب ما حدث من تزاوج بين قريحته الشعرية وتفكيره الفلسفي، وتجسد ذلك من خلال ديوانه تحت مسمى "**اللزوميات**" الذي تصارعت فيه أفكاره مع واقع مجتمعه، فقد اعتزل المعري المجتمع ونقم على الدنيا بكل ما فيها، نتيجة لما عايشه من فساد ملأ المجتمع العباسي حينها.

وتعتبر ثنائية الموت والحياة وسيلة صور من خلالها المعري نقمه وكرهه للحياة مفضلا الموت عليها راغبا فيه، رغم أن العلماء اختلفوا في مدى إيمان المعري بالبعث لأن الديوان يحوي بعض الأبيات التي تتناقض مع ذلك ويمكن تصنيفها تحت مسمى الإلحاد.

وختاما لهذه الدراسة يمكننا الإشارة إلى العديد من النتائج التي توصلت إليها من خلال تتبع "ثنائية الحياة والموت في لزوميات أبي العلاء المعري" وتجليهما في جملة من النتائج أهمها:

- الحياة هي الاستمرارية والبقاء والتفاعل داخل هذا الكون، لجميع مخلوقات الله باختلاف أنواعها وأشكالها.
- الموت هو انقطاع الصلة بين الروح والجسد، وانتقال جسم الكائن الحي من حالته المتحركة المتفاعلة مع الكون إلى حالة ساكنة فانية وانقال الإنسان من الدار الدنيا إلى دار الآخرة.
- نظرية الحياة والموت ثابتة باختلاف الشعوب والمعتقدات، مع استمرا البحث عن سر الخلود.

- اختلاف الفكر العربي الإسلامي والفكر الغربي حول حقيقة الموت وما بعدها ومحاولة كل منهما تأكيد نظرته لهذه الحقيقة بالدلائل القاطعة.
- زاوج أبو العلاء المعري بين ثنائية الحياة والموت في لزومياته، في العديد من الأحيان ليوضح جمالية الاختلاف بينهما.
- معاناة المعري خلال فترات حياته جعل منه شخصا ناقما على الدنيا وما فيها، وهذا ما أدى به لاعتزال المجتمع والناس.
- اعتباره الزواج والانجاب بداية لشقاء الإنسان وتجرعه لمصاعب الحياة، واستنتاجه أن هذه المصائب ستتوقف بتوقف النسل البشري.
- تفضيل المعري للموت على الحياة، واعتباره راحة وانتصاره له ليس عبثيا وإنّما معاناته وقسوة الدنيا هي التي دفعت به إلى ذلك، وحقيقة ايمانه بالبعث ومدى تمسكه بهذا الإيمان، والآراء القائلة بإلحاده ومدى صدقها من خلال اللزوميات.

فالمتتبع لأبي العلاء المعري يمكن أن يدرك مدى الصراع الداخلي الذي يعانيه، والمطلع على لزومياته يرى ذلك بوضوح فالحالة النفسية للشاعر جعلت منه يعيش حالة صراع دائم مع الحياة تارة محبا وتارة ناقما، كما نجد العديد من الثنائيات الضدية التي ملأت لزومياته لازالت تحتاج إلى البحث والدراسة لما تحتويه من أسرار شكلت بنية القصائد التي جادت بها ملكته، وفاضت بها لزومياته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش

أولا: المصادر

1- أبي العلاء المعري:

اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج 1، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، د. ط، 1924م.

اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج 2، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، د. ط، 1924م.

ثانيا: المعاجم

2- جبران مسعود:

الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، ط7، بيروت – لبنان، 1992م.

3- كامل الجبوري:

معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى2002، ج1، دار الكتب العلمية، د. ط، بيروت – لبنان،2003م.

4- مجمع اللغة العربية:

المعجم الوسيط، (مادة مات)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة – مصر، 1425هـ/2004م.

5- ابن منظور:

لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، (باب الحاء)، دار المعارف، 1119كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، د.ت.

ثالثا: المراجع:

6- أحمد شلبي:

أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، ط11، 2000م.

7- جاك شروون:

الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، د ط،1984م.

8- جيفري بارندر:

المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1990م.

9- أبي حامد محمد الغزالي:

إحياء علوم الدين، دار بن حزم، ط1، بيروت– لبنان، 2005م.

10- حسين أحمد عبد الحميد عبد السلام:

الموت في الشعر الجاهلي، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة – مصر، 1991م.

11-خليل شرف الدين:

أبو العلاء المعري (مبصر بين العميان)، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، د. ط، 1995م.

12-سعدية أحمد مصطفى:

البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، د.ط، عمان – الأردن، 2010م.

13-سمر ديوب:

الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، دمشق، 2017م.

الثنائيات الضدية (دراسات في الشعر العربي القديم)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د. ط، 2009م.

14-طه حسين:

مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، د. ط، القاهرة – مصر، 1939م.

15-عباس محمود العقاد:

الفلسفة القرآنية، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة– مصر، ط2، 2006م.

16-عبد السلام هارون وآخرون:

تعريفات القدماء بأبي العلاء المعري، إ. طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر،1965م.

17-عبد الرحمان شكري:

دراسات في الشعر العربي، ج. ت. ت محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة – مصر،1994م.

18-عبد الفتاح محمد الخواجا:

الإرشاد النفسي والتربوي، دار الثقافة، ط2، عمان – الأردن، 2009م.

19-عدنان حسين العوادي:

الشعر الصوفي حتى أقول مدرسة بغداد وظهور الغزالي، دار الرشيد للنشر، د. ط، بغداد – العراق، 1979م.

20-عمر فروخ:

أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، منشورات دار الشرق الجديد، ط1، بيروت – لبنان، 1960م.

21-فيصل عباس:

التحليل النفسي وقضايا الإنسان، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت – لبنان،1991م.

22-كمال خليل اليازجي:

جولة في لزوميات المعري، الجامعة الأمريكية، بيروت – لبنان، د. ط، 1942م.

23-محمد متولي الشعراوي:

الموت والحياة، مكتبة الشعراوي الإسلامية، د. ط، مصر، د.س.

24-مصطفى عبد اللطيف جياووك:

الحياة والموت في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، د ط، 1977م

25-منير المدني وآخرون:

شرح اللزوميات، ج3، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، مصر،1994م.

26-ميخائيل مسعود:

أدباء فلاسفة، دار العلم للملايين، ط1، بيروت – لبنان، 1993م.

27-ياروسلاف تشرني:

الديانات المصرية القديمة، ت. أحمد قدري، دار الشروق، ط1، القاهرة – مصر، 1996م.

رابعا: المجلات والدوريات:

28-أحمد أمين:

نظرة أبي العلاء إلى العالم، مجلة الهلال، ج8، مج46، القاهرة – مصر، يونيو1938م.

29-حمدية كاظم رضوان:

جدلية الموت والحياة في فنون الحضارات القديمة، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ط1، العدد 18، 2016م.

30-سناء سلمان عبد الجبار:

ثنائية الحياة والموت عتد نازك الملائكة، كلية الآداب، جامعة الكويت، العدد05، المجلد14، 2007م.

31-محمد عبد الله عنان:

وفاة أبي العلاء ورأيه في الموت وما بعده، مجلة الهلال، ج8، مج46، القاهرة – مصر، 1938م.

خامسا: بحوث ودراسات:

32-فطوم زروق:

الموت في المعلقات السبع دراسة فنية، تخصص أدب عربي قديم، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة، 2014/2015م.

الملحق

صورة تقريبية لوجه أبي العلاء المعري

التعريف بأبي العلاء المعري:

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود.. التنوخي[1]. المعروف بالمعري نسبة إلى بلده معرة النعمان وقد ذم أن يشتق اسمه من الحمد لأن ذلك نفاق وإنما ينبغي أن يشتق اسمه من الذّم ودليل ذلك قوله:

وأحمد سماني كبيري وقلما فعلت سوى ما أستحق به الذَّمَّا[2]

أما كنيته بأبي العلاء فعادة الآباء في عصره أن يكنوا أبناءهم وقت تسميتهم ولكن أبا العلاء كره هذه التسمية أيضا، ورأى أن فيها ظلما له بل وفضل أن يكنى باسم يضاف إلى النزول والسقوط ذلك في قوله:

دعيت أبا العلاء وذلك مين ولكن الصحيح أبو النزول[3]

أما اللقب الذي اختاره لنفسه فهو "**رهين المحبسين: العمى والمنزل**"[4]، وقد سمى نفسه بهذا الاسم بعد عودته من بغداد ولزومه بيته مبتعدا عن الناس والعالم" **ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم عاد إلى وطنه، فلزم منزله**"[5].

وقد سجن أبو العلاء المعري نفسه سجنا ثالثا وهو سجن نفسه الطاهرة في جسده الخبيث وهذا ما جاء في قوله:

---

[1] كامل الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى2002، ج1، دار الكتب العلمية، د. ط، بيروت – لبنان، 2003م، ص191.

[2] منير المدني وآخرون: شرح اللزوميات، ج3، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، مصر،1994م، ص114.

[3] نفسه، ص31.

[4] المرجع السابق، ص191.

[5] عبد السلام هارون وآخرون: تعريفات القدماء بأبي العلاء المعري، إ. طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر،1965م، ص19.

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النّبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث[1]

ولد أبو العلاء المعري يوم الجمعة لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة[2] وقد ولد أبو العلاء بصيرا كباقي الأولاد إلاّ أنه عمي بسبب إصابته بالجذري وهذا ما أدى لفقد بصره" **وذكر غيره أن أبا العلاء جدر في السنة الثالثة من عمره، وكفّ من الجذري، وقال لا أعرف من الألوان إلاّ اللون الأحمر، فإنّني ألبست في مرض الجذري ثوبا مصبوغا بالعصفر، فأنا لا أعقل غير ذلك، وكل ما أذكره من الألوان في شعري، إنّما هو تقليد الغير واستعارة منه"[3].**

ورغم ما أصابه إلّا أنه كان حامدا شاكرا لله، تمتزج البسمة والمزاح في لسانه حيث قال:" **أنا أحمد الله على العمى كما يحمد غيري على البصر "[4].**

كانت نشأة أبي العلاء المعري في بيت صغير من بيوت معرة النعمان وقد عرف هذا البيت بالعلم والفضل والأدب" **ولد في المعرة – معرة النعمان– في ربيع الأول وأبوه من أهل الأدب، وجده من القضاة، وكان في آبائه وأعمامه ومن تقدم من أهله وتأخر عنه فضلاء وعلماء وأدباء وشعراء "[5].**

---

[1] أبي العلاء المعري: اللزوميات، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، ج 1، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، 1924م، ص188.

[2] المرجع السابق، ص143.

[3] نفسه، ص30.

[4] نفسه، ص79

[5] كامل الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى2002، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2003م، ص191.

تتلمذ أبو العلاء على يد أبيه في أول حياته وأخذ منه اللغة والنحو كما أخذهما على يد أساتذة آخرون " **قرأ اللغة والنحو بمعرة النعمان على والده أبي محمد عبد الله بن سليمان بن محمد، وأبي بكر بن مسعود ابن محمد بن يحيى بن الفرج النحوي**"[1]، وقد قرأ القرآن الكريم أيضا وبرع فيه على يد أمهر الشيوخ ممن يشهد لهم بالإجادة " **وقد قرأ القرآن بكثير من الروايّات على شيوخ يسار إليهم في القراءات**"[2].

لكن أبو العلاء لم يكتف بما أخذه عن والده وشيوخه في معرة النعمان وإنما أراد أن يستكثر العلم ويزيده فسافر إلى بغداد وتلقى العلم على يد العديد من المشايخ" **وسافر أبو العلاء إلى بغداد في سنة تسع وتسعين، للاستكثار من العلم، فأخذ بها عن أبي الحسين البصري المعروف بالواجكا، وأبي عليّ عبد الكريم بن الحسن بن حكيم السكري النحوي اللغوي**"[3].

لقد عني العديد من الأدباء بكتابات المعري وأحصوها ونذكر منها:" **أول ما ألف بعد انقطاعه في منزله، بعد رجوعه من بغداد، الكتاب المعروف (بالفصول والغايات) في تمجيد الله تعالى والعظات، وكتاب (السادن)، وضعه في ذكر غريب هذا الكتاب وما فيه من اللغة**[4]**، وكتاب (إقليد الغايات)، وهو مشتمل على تفسير اللّغز. ثم ألف الكتاب المعروف (بالأيك والغصون) ويعرف بكتاب (الهمز والردف)**[5]. كما نجد له العديد من الكتب

---

[1] المرجع السابق، ص515.

[2] المرجع السابق، ص514

[3] نفسه، ص516.

[4] نفسه، ص527.

[5] نفسه، ص528.

الأخرى مثل: **رسالة الغفران، سقط الزند، والملائكة، ورسالة العروض، والزعفرانية، واللزوميات.**

توفي المعري بمعرة النعمان سنة 449هـ عن ست وثمانين سنة، إلاّ أربعة وعشرين يوما، في ربيع الأول، وذكر لنا أنه أنشد على قبره ثمانون مرثية، رثاه أصحابه بها ومن قر عليه ومال إليه[1].

وأصى أن يكتب على قبره ما يلي:

هذا ما جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد[2].

جناية أبيه عليه رغم أنه لم يجني على أحد؛ لأنه لم يتزوج كيلا ينجب أولادا يجني عليهم كما فعل معه والده.

[1] عبد السلام هارون وآخرون: تعريفات القدماء بأبي العلاء المعري، إ. طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر،1965م، ص152.

[2] نفسه، ص 200.

فهرس المحتويات

المحتوى		الصفحة
المقدمة		أ- ز
مدخل		08
الفصل الأول: الموت والحياة الماهية والحدود		
1-1	مفهوم الحياة في اللغة والاصطلاح	12
1-2	مفهوم الموت في اللغة والاصطلاح	13
1-3	الموت والحياة في الحضارات القديمة	15
1-4	الموت والحياة في الفكر العربي	19
1-5	الموت والحياة في الفكر الغربي	22
الفصل الثاني: الحياة في لزوميات أبي العلاء المعري		
1-2	احتقار الإنسان واعتزال المجتمع	25
2-2	قيمة الحياة	35
3-2	مقاطعة الحياة بعدم الإنجاب	42

الفصل الثالث: الموت في لزوميات أبي العلاء المعري

1-3	الموت راحة	46
2-3	الموت والبعث	50
الخاتمة		57
قائمة المصادر والمراجع		60
الملحق		64

ملخص

موضوع هذه الدراسة هو " ثنائية الموت والحياة في لزوميات أبي العلاء المعري" وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في هذه الثنائية في شعر أبي العلاء المعري حيث شغلت قضية الموت والحياة في الشعر العربي القديم العديد من الدارسين، ونجد أن الفيلسوف والشاعر أبي العلاء المعري كان له نصيب من هذه القضية إذ برزت في شعره تلك الصورة سواء الموت أو الحياة.

وقد تحدثت الدراسة عن أبرز أنماط الموت وصوره في خطاب أبي العلاء فرؤيته للموت رؤية عميقة، ونظرة بعيدة تشكل الأشياء حسب انعكاساتها في عقله وقلبه فيصير الموت بالنسبة له معايشة للحياة فمن الموت تولد الحياة.

بالإضافة إلى ما تفرع عنها من تساؤلات للإجابة عليها، اعتمدت على خطة مكونة من ثلاثة فصول يتقدمها مدخل وتعريف موجز للشاعر، لتسبقهما مقدمة، أما الفصل الأول: خاص بالإطار النظري يضم المصطلحات والمفاهيم الأساسية للدراسة، أما الفصل الثاني: يضم جانبا من الدراسة خاص بالحياة في اللزوميات، أما الفصل الثالث: فيضم الشطر الثاني من الدراسة وهو خاص بالموت في اللزوميات، لتنتهي الدراسة بخاتمة تليها قائمة بأهم المصادر والراجع التي خدمت البحث.

الكلمات المفتاحية: أبو العلاء المعري، الثنائية الضدية، الموت، الحياة، اللزوميات.

Abstract:

The subject of this study is "The dualism of death and life in Al- lasoumiyat of Abu Ala Al-Ma'arri, this study aims to investigate this duality in the poetry of Abu Ala Al-Ma'arri, where the issue of death and life in the ancient Arabic poetry occupied many scholars. The philosopher and poet Abu al – Ala, of this issue as the image emerged in his hair, whether death or life.

The study discussed the most prominent patterns of death and image in the speech of Abu al-Ala his vision of death deep vision, and a far-sighted form of things according to reflections in his mind and heart becomes death for him to live life from death to generate life.

In addition to the questions that stem from the answer to them, was based on a plan consisting of three chapters preceded by a introduction and a brief introduction to the poet, preceded by an introduction, and the first chapter: the theoretical framework includes the basic terms and concepts of the study, the second chapter: includes part of the study of life in Al- lasoumiyat And the third chapter: the second part of the study, which is specific to death in, Al- lasoumiyat , the study concludes with a conclusion followed by a list of the most important sources and references that served the research.

Keywords : Abou Ala 'Al-Ma'arri, Bilateralism, Death, Life, Al- lasoumiyat.